

دلالة الشاهد القرآني في نهج البلاغة

د. مرتضى عباس فالح
جامعة البصرة - كلية التربية

م.م زينب كامل عبد الحسن
جامعة البصرة - كلية العلوم

الخلاصة

امتاز نهج البلاغة بحضور النص القرآني والقدرة على اجتلاب الصور وتمثيل المعاني فهو يمتد مع الزمن بطاقة دلالية ، إذ يعد نهج البلاغة في مضمونه نهجاً للحياة كونه قائماً على علاقة بين الذات الالهية والانسان داخل هذا العالم. وقد استطاع الامام ان يربط بين تلك الخطب والرسائل والحكم والسور القرآنية التي استشهد بها بما يناسب حاجة المجتمع ونفسية الفرد الذي يتعامل معه ، فقد دأب على فك رموز تلك الاجزاء لعلمه ان خالقها واحد وانقياده اليه فحسب وما كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي الا صدق لما تعلمه الامام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وعملنا بخمس خطب ومثلها حكم ورسائل استشهد فيها امير المؤمنين بألايات القرآنية دلت على عدة معاني منها :

اولاً: ذم الدنيا وتشبيه حالها وحال طالبيها كونها فانية غير مستقرة على حال

ثانياً : عدم معرفة الانسان بعلم الغيب اذ لا يعلمه الا الله.

ثالثاً: عد الاستغفار باباً للرحمة الالهية وسبباً لدرور الرزق والاستغفار هنا يعني التوبة والعمل بما يرضي الله.

رابعاً : ركز على الفتنة وحذر المجتمع الاسلامي منها وحث البشرية على الاخلاص في نياتهم لله سبحانه.

خامساً: دلت الخطبة الاخيرة في هذا البحث على استقامة الانسان ولزومه المنهج الصحيح غير المنحرف الذي

يأمر الله تعالى به وان الاستقامة هي طريق الجنة وبين موقفه هذا بوضوح في تلك الخطبة .

سادساً : ذكر الامام في رسالة بعثها الى معاوية ابن ابي سفيان ان اقرب الناس لأبراهيم هم المتعبون له

المؤمنون برسالات السماء والله ولي المؤمنين.

سابعاً : ذكر الامام في حكمه امان الارض واستقرارها مرتبطاً بصلاح الفرد واستغفاره وتوبته لله تعالى وما

دامت البشرية تعمل بالصالح خدمة لأهلها قرباً لله سبحانه وتعالى لم تحرم من عطايا السماء في الدنيا

والآخرة فهم ائمة هذه الارض ووارثيها.

Appearance AlQurani Meanings In nahj AL balagah

Assistaet Lecturer
Zainab .kamil Abdul Hassan

Lecturer
Dr.Murtada Abbas Falih

Abstract

Nahj Albalagah is characterized by the appearance of the Qurani paragraph and by the ability of describing the pictures and presenting the meanings. so, it is extended with time by the power of expression. Nahj Albalagah can be regarded as a method for life as it expresses the relation between God and mankind in this world. Imam was able to relate the Qurani chapters which Imam had expressed as it is needed by the community and persons' mood who deal with it. He insisted upon trying to open the hidden symbols of those parts as he knows that the creator is one and only one and he should follow his orders. The book of Nahj

Albalagha by AL-Sherif Al-radhi is only aknowledg ments about what .Imam Learned from the holy Quran and Sunah of the prophif mumhamred.We deel with five talks and wises and Letles in which Amear Almuninean express some Quran chpters leads to the following remarlse.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،وصلى الله على محمد خاتم النبيين ،وعلى آله الطاهرين،واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.
أما بعد ..!

فإن البحث المتواضع يختص بعدد من آيات القرآن الكريم الواردة في نهج البلاغة ، وهو يدور حول دلالة الشواهد القرآنية في نهج البلاغة واسمه (دلالة الشاهد القرآني في نهج البلاغة) فنجد أن الإمام علي (عليه السلام) جمع مهارة في القضاء والفتوى ،وعلماً بكتاب الله، وفهماً لأسرارته وخفي معانيه، فكان من اعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل.

واخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال:- " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ،ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وان عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عنده من الظاهر والباطن " (١).
ولعل ما ميز الإمام علي (عليه السلام) انه كان مخصوصاً من دون الصحابة (رضوان الله عليهم) بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن معاني القرآن ،وعن معاني كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإذا لم يسأل ابتدأه النبي (صلى الله عليه وآله) بالتعليم والتثقيف (٢).

والمادة في ضوء ما تقدم تطلبت ان يكون البحث في ثلاثة مباحث هي الخطب ، الرسائل ، الحكم ان الإمام علي (عليه السلام) كان كثير الاستشهاد في أثناء خطبه ورسائله بآيات القرآن الكريم الظاهرة في معناها المبطنة في محتواها ودلالاتها ،الواضحة من خلال سياق حديثه . فكان أستخراج عدد من الآيات من خطبه وكذلك فيما يخص الرسائل والحكم، واستخرجت تفسيراتها من كتب التفسير منها : (تفسير الطبري ،تفسير الكشاف، تفسير ابن كثير ،تفسير الميزان، تفسير الأمثل). فضلاً عن الرجوع الى بعض كتب شرح النهج منها:- شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد و، وشرح ابن ميثم البحراني، و منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة حبيب الله الهاشمي الخوئي ،و بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة).

وبعد ذلك فتجليات القرآن الكريم تتضح في صور كثيرة متناثرة الدلالات في مادة نهج البلاغة سيظهر بعض منها في مادة البحث

والله ولي التوفيق

1 - التفسير والمفسرون ١/ ٩٢- ٩٣ ، وراجع فتاوى واقضية واحكام الإمام علي (عليه السلام) في اخبار الزجاجي ٢٠٨ ،
والصاحبي في فقه اللغة ١١
2 - شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد ابو حامد ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت (٦٥٦هـ) ١/ ١٩

المبحث الأول

دلالة الشاهد القرآني في خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تميزت خطب الإمام بخصوصية نصية إذ " ان القيمة الأساسية للنص في خطب علي بن أبي طالب عليه السلام ماثلة في حضور الابداع النصي في النشاط الفكري والكلامي له على المستويين الشفهي والتحريري وكان الإمام علي (عليه السلام) بعفويته الثاقبة ، يباشر عمله الابداعي الفوري فيأتي النص المرتجل ، مثل النص المكتوب ، آية في الاتقان والروعة ، ومن الثابت أن جريان خطب علي (عليه السلام) على نحوه الباهر في طوله وقصره هودليل على الفعالية الخارقة لعقل مبدع موهوب " (١) ومن الآيات التي أعتمدها في خطبه هي :-

١- قال تعالى :- ﴿ كماءٍ أنزلناه من السماء فأختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله

على كل شيء مقتدراً ﴾ سورة الكهف ٤٥

هذه الآية وردت في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في أثناء ذمه للدنيا وهو يحذر أصحابه منها وكيف هو منظرها وما تهيأت به وما تزينت به فهو لا يدوم ، اذيقول الإمام في خطبته " اما بعد ، فإني احذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حُفَّت بالشهوات ، وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل ، وتحلت بالأمال وتزينت بالغرور لاتنوم حبرتها ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة حائلة زائلة ، نافذة بائدة ، أكالة غوالة ، لاتعدو – اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضاء بها – ان تكون كما قال الله سبحانه "كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً" (٢)

ويدل في معنى الخطبة ان الحبرة هي السرور والنعمة وأن حائلة متغيرة ونافذة يعني فانية ، اما بائدة فهالكة وغوالة مهلكة أي انها اذا وصلت بأهل الرغبة فيها الى امانهم فلا تتعدى الوصف الذي ذكره الله تعالى في قوله تعالى ﴿ كماءٍ أنزلناه من السماء فأختلط به نبات الأرض ﴾ ولأجل توضيح دلالة الشاهد القرآني في خطبة الإمام لهذه الآية نورد تفاسيراً لها كي يتضح المغزى من الاستشهاد بها ، منها :-

ورد في تفسير قوله تعالى :- " ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ "فالتف بسببه وتكاثف حتى روى ورف رفيفاً. وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته إن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه . والهشيم ما تهشم وتحطم والواحدة هشيمة. شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضراً وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن . ﴿وكان الله على كل شيء "من الإنشاء والإفناء" مقتدراً﴾" (٣)

وورد أيضاً في تفسير قوله تعالى :- " ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ ولم يقل :- أختلط بنبات الأرض إشارة الى غلبته في تكوين النبات على سائر أجزائه ، ولم يذكر مع ماء السماء غيره من مياه العيون والأنهار ، لأن مبدأ الجميع ماء المطر ، وقوله :- فأصبح هشيماً أصبح فيه - كما قيل - بمعنى صار فلا يفيد تقيد الخبر بالصباح ، والمعنى واضرب لهؤلاء المتولاهين بزينة الدنيا المعرضين عن ذكر ربهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء وهو المطر فاختلط به نبات الأرض فرف نظارة وبهجة وظهر بأجمل حلية فصار بعد ذلك هشيماً مقصراً متقطعاً تعبت به الرياح تفرقه وتجيء به وتذهب ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾" (٤)

وتدل هذه الآية على ان الامطار الواهبة للحياة تسقط على الارض لتعيد لكل ما عليها من بذور ونبات حياة جديدة فتبدأ دورة حركية بعد أن كانت شبه ميتة والإعجاز في الامر ان البذور تلين قبالة المطر مما يسهل اختراقها ثم تزهر براعمها في التراب لتمتص اشعة الشمس وتصبح قوة طبيعية نافعة ، فضلاً عن زينتتها وهي الفاكهة والازهار والاوراق وهكذا البشر فالجميع أصبح في اوج البهجة في ظل واقع سعيد مترف زينته تختلط بزينة الارض تراه في اشد النشاط والحيوية ثم تنتقل الصورة لتتشح المياه وتموت الاشجار ويصبح ذلك الزرع

1 - شبكة نهج البلاغة الالكترونية - مقالات رؤية في اسلوب نهج البلاغة / مقالات.

2 - شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده - ١ / ١٨٧ - خطبة ١١١.

3- تفسير الكشاف ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت (٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ) ٣ / ٤٨٦.

4 - الميزان في تفسير القرآن محمد حسن الطباطبائي ت (١٤٠٢هـ) ١٥ / ٢٤٢.

الجميل ميتا يابساً ، او اكثر من ذلك هشيماً تذروه الرياح وها هو الانسان بعد الشباب والحيوية يضحى باندا هشيماً تذروه الحياة بعد أن تقطعت براعمه وأنقضت فاكهته وماتت أزهاره وهذه هي قدرة الاله الفائقة التي لا تصلها قدرة ، نعم ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ .

ولواطلعنا على شرح النص الذي ضمّ هذه الآية في كلام الإمام (عليه السلام) نلاحظ أن هذا المعنى ينطبق مع قول أحد شراح النهج :- " أي لا تتجاوز الدنيا كونها كما وصفها الله في قوله " كماء أنزلناه من السماء فاختلف به " أي فالتف بسبب الماء النبات وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً ، يعني نبت بذلك الماء نبات التف بعضه ببعض مترونق حسناً فصار هشيماً كسيراً متفتتاً تنقله الرياح من موضع الى موضع ، فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ أي قادر لا يجوز عليه المنع . والمراد بقوله ﴿ كان الله ﴾ اي ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث وانه كذلك كان لم يزل " (١) .

استطاع الإمام (عليه السلام) أن يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال ما تجده من قول احد شراح النهج في أثناء شرح النص " فاختلف ، أي فالتف بنبات الأرض وتكاثف به ، أي بسبب ذلك الماء وبنزوله عليه ، ويجوز أن يكون تقديره : فاختلف بنبات الأرض لأنه لما غذاه ونماه ، فقد صار مختلطاً به ، ولما كان كل واحد من المختلطين مشاركاً لصاحبه في مسمى الاختلاط جاز " فاختلف به نبات الأرض " كما يجوز فاختلف هو بنبات الأرض ، والهشيم ما تهشم وتحطم ، الواحدة هشيمة ، وتذره الرياح : تطيره وكان الله على ما يشاء من الإنشاء والإفناء مقتدراً " (٢) .

إن الهلاك والفناء الذي ذكره الامام في خطبته يدور حول الدنيا كلها لأنها مرتبطة ببعضها ببعض والملاحظ في هذا الكون حتى العدالة الانسانية تحاكي الطبيعة فكثيرا ما نلمس قساوة الطبيعة قد أستمدت من قساوة الانسان وكل شيء يتحرك ضمن نظام ثابت فيه بداية ونهاية ثم تتحول تلك النهاية الى بداية وهي ارادة خلاقة يدركها الله تعالى وحده وقد تظهر دلالة اخرى مفادها أن خطبة الامام حملت مغزى يكمن في " حقارة الدنيا وقلة بقائها ، نجد أن الامام قد صاغه مجتزئاً به في تمثيل قصر الحياة الدنيا " (٣) .

في حين نجد المعنى يزاد بشرح قوله تعالى ﴿ كماء أنزلناه من السماء فأخطلت به نبات الأرض فأصبح هشيماً ﴾ أي :- يابساً متكسراً " تذره الرياح " من ذرت الرياح التراب ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ والآية التي ذكرها (عليه السلام) من سورة الكهف وأولها ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ... ﴾ وقريب منه قوله تعالى أيضا في (سورة يونس) :- ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فأخطلت به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهار فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ وبدلت " روضة الكافي تلك بهذه فروق الخطبة عنده (عليه السلام) في الجمعة - الى أن قال- لن تعدو الدنيا إذا تناهت إليها أمنية أهل الرغبة فيها المحبين لها ، المطمئنين إليها المفتونين بها " (٤) .

ومثل التشبيه في خطبة الامام السابقة أداة تعبيرية ناجحة إذ أسهمت من جانبها في التعبير عن المخزون الثقافي والايماي والانساني في شخصية علي (عليه السلام) ولاسيما عندما وضع (عليه السلام) على محك أحداث بالغة الخطورة والتعقيد لذلك فإنه يعد من كبار من طوعوا التشبيه على التعبير بدقة متناهية عن ادق القضايا التي اعترضت سبل المسلمين الاوائل ، فكان واحداً من المؤسسين المبدعين لمناهج التعبير التي يتبعها الخطباء والادباء اللاحقون (٥) .

نلاحظ في خطبة الامام نصاً وصفيّاً رائعاً يكاد أن يستنتجها ليهبها قدرة في التعبير عن النص "بوصفه يتغلغل الى عمق الظاهرة او الصفة ، كما يتسع ليربط الظاهرة بالآخرى والصفة بالآخرى ليقدم رؤية شاملة ، تضع الجزئي في موضعه الحقيقي ضمن العام ، وتضع البعض ضمن الكل وبما ان ابلغ وصف هو ذلك الذي ينقل الصور البليغة للأشياء ويعكسها بأجمل تعبير وأقوى إيحاء وادق وصف وأجل تعبير فأن سحر

1 - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة العلامة ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي د.ت - خطبة ١١٠ ، ٤٥٧

2 - شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد خطبة ١١٠ ، ٢٢٩

3 - الاثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون- تأملات في فنون القرن الاول الهجري د عباس علي حسين الفحام ١٩٦ - ١٩٧ .

4 - بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة محمد تقى التستري ٤٥٣

5 - رابطة الكتاب العراقيين الالكترونية ، مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية العدد ١٠

البيان الذي أوتيهِ الإمام علي (عليه السلام) كان يجعل من عملية الانعكاس الوصفي قطعاً فريدة من النصوص الوصفية التي تفخر بها العربية " (١).

٢- قال تعالى :- ﴿ أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ سورة لقمان ٣٤ .

هذه الآية وردت في خطبة للإمام علي عليه السلام عندما سأله بعض أصحابه ، في انه أعطي علم الغيب ، فكان جواب أمير المؤمنين انه ضحك وقال للرجل ، وكان كليباً موضحاً إليه انه لا يعلم الغيب ، بل أن ما يعلمه هو تعلم من ذي علم . أما علم الغيب فهو خاص بعلم الساعة ، وما عند الله سبحانه في قوله :- ﴿ أن الله عنده علم الساعة ﴾ ١٠٠٠ . إذ قال بعض أصحابه (عليه السلام) " لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك (عليه السلام) ، وقال للرجل وكان كليباً :- يا أبا كلب ليس هو بعلم غيب ، وإنما هو تعلم من ذي علم ، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله :- ﴿ أن الله عنده علم الساعة ﴾ الآية ، فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى ، وقبيح أو جميل ، وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ، ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للبنين مرافقاً ، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي " (٢) .

أما تفسير هذه الآية يقول أبو حنيفة :- أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه ﴿ عنده علم الساعة ﴾ إيان مرساهما ﴿ وينزل الغيث ﴾ في إبانة من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوز به ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ اذكر أم أنثى أتم أم ناقص ؟ وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال ، ﴿ وما تدري نفس ﴾ برة أو فاجرة ﴿ ماذا تكسب غداً ﴾ من خير وشرور بما كانت عازمة على خير فعملت شراً وعازمة على شر فعملت خيراً ﴿ وما تدري نفس ﴾ أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمى بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها بها ظنونها " (٣).

وبدل قول الإمام (عليه السلام) أن علم الساعة يرتبط بالله فزمن قيامها قد عين في علمه سبحانه ليس في علم البشر اما الأرحام وعلى الرغم من الاعجاز العلمي والتطور الآلي الذي ظهر حديثاً في معرفة الذكر من الأنثى يبقى ناقصاً بأعترافه هو أمام معرفة الله بما في الأرحام وأذا أعطى الله تعالى فسحة في معرفة الذكر من الأنثى في الأرحام فهي من باب البديهيات التي وضعها الله للإنسان ليكتشفها تبعاً أما دقة الاسرار في الرحم فهي في علمه تعالى وحده ، أما الكسب من خير وشر فنحن لانعتقد أن هذا مرهون بما يحمل الإنسان من طاقة علمية أوتكهن بما يحدث غداً قد بني سلفاً على حقائق علمية مهما حاول فالخير والشر لليوم الذي يلي شيء خفي يعجز البشر وميسراً لديه تعالى وكذا الموت إذ لا يستطيع الإنسان أن يحدد متى يموت وبأي أرض ، وفي هذا دلالة واضحة على أنه علم الغيوب تبقى البشرية عاجزة أمامه في معرفة ذلك الغيب .

نلاحظ من تفاسير قوله تعالى :- ﴿ أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ... ﴾ الغيث :- المطر ، ومعنى جمل الآية ظاهر وقد عد سبحانه أمور ثلاثة مما تعلق به علمه وهي العلم بالساعة وهو مما استأثر الله علمه لنفسه لا يعلمه إلا هو ويدل على القصر قوله : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ وتنزيل الغيث وعلم ما في الأرحام يختصان به تعالى إلا أن يعلمه غيره وعد أمرين آخرين يجهل بهما الإنسان وبذلك يجهل كلما سيجري عليه من الحوادث وهو قوله :- ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾ وقوله :- ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ وكان المراد بتذكرة إن الله يعلم كل ما دق وجل حتى الساعة التي لا يتيسر علمها للخلق وانتم تجهلون أهم ما يهتمكم من العلم فאלله يعلم وانتم لا تعلمون فياكنم أن تشركوا به وتتمردوا من أمره وتعرضوا عن دعوته فتهلكوا بجهلكم " (٤).

وورد أيضاً في تفسير قوله تعالى :- ﴿ أن الله عنده علم الساعة ﴾ ١٠٠٠ فكأن مجموع هذه الآية جواب عن سؤال يطرح في باب القيامة وهو نفس السؤال الذي يسأل المشركون به النبي (صلى الله عليه واله) مراراً وتكراراً ﴿ ويقولون متى هو ﴾ الإسراء ٥١ فيجيبهم القرآن عن سؤالهم ، ويقول :- لا يعلم احد بموعده

١ - شبكة الامام الرضا (عليه السلام) رؤية في اسلوب نهج البلاغة ١١

٢ - شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٢ / ٢١٤ خطبة ١٢٧

٣ - تفسير الكشاف ٣ / ٢٣٩

٤- الميزان في تفسير القرآن ٢٥١ / ١٦

قيام القيامة إلا الله سبحانه وطبقا لصريح الآيات الأخرى ، فإن الله أخفى هذا العلم عن الجميع ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ طه ١٥ ذلك كي لا يحيط الغرور والغفلة بأطراف البشر . ثم تقول الآية :- " ان مسألة القيامة ليست هي المسألة الوحيدة الخافية عليكم ، ففي حياتكم اليومية ومن بين اقرب المسائل المرتبطة بحياتكم ومماتكم مسائل كثيرة تجهلونها :- فليس واضحا لأي منكم زمان نزول قطرات المطر المحيية ، والتي ترتبط بها حياة كل الكائنات الحية ، وإنما تبحثونها وتتوقعونها على إحساس الحدس والظن والتخمين وكذلك لم يطلع احد على زمان تكونكم في بطون الأمهات وخصائص الجنين ، ومستقبلكم القريب، أي حوادث الغد ، وكذلك مكان موتكم وتوديعكم للحياة خاف على الجميع . فإذا كنتم جاهلين بهذه المسائل القريبة من حياتكم والمتصلة بها ، فلا مجال للعجب من عدم علمكم بلحظة قيام القيامة. ونقل في الدر المنثور :- إن رجلا يقال له الوراثة من بني مازن بن حفصة جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :- يا محمد متى تقوم الساعة؟ وقد أجدبت بلادنا فمتى تخصب؟ وقد تركت امرأتي حبلى فمتى تلد؟ وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا؟ علمت بأي ارض ولدت فبأي ارض أموت فنزلت هذه الآية " (١)

ومن خلال مواءمة الشرح بين دلالة النص القرآني بالتفاسير، نلاحظ أنّ هذا المعنى ينطبق عندما يقول احد شراح النهج عن هذا النص :- " روي إن ابا بكر بن عيشي دخل على موسى بن جعفر عليهما السلام وقال :- رأيت البارحة يا ابن رسول الله كأنني قلت لكم كم بقي من عمري ، فرفعت إلي كفك اليمنى مفرجا أصابعها الخمس مشيرا بها إلي ولا ادري أردت بذلك خمس سنين أو خمسة أشهر أو خمسة أيام ، فقال :- ذاك إشارة إلى خمسة أشياء التي هي في قوله تعالى :- ﴿ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت ﴾ . وكأنني قلت لك ، الذي سألت عنه علم الغيب لا يعلمه إلا الله. وروي مكحول إن النبي (صلى الله عليه وآله) لما نزل وتعيها إذن واعية قال :- " اللهم اجعلها إذن علي " (٢) .

إذ استطاع هذا الشراح إن يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال ما يقول :- والإنسان العارف ينتبأ بنزول المطر، وقد يصدق تنبؤه ولكن بعد اطلاعه ومعرفته بعلامات المطر ودلائله ، أما نزول المطر الصناعي فهو تحويل السحابة التي تحمل الماء إلى المطر لإيجاد المطر وتكوينه وفرق بعيد بين إيجاد الشيء مباشرة أو عن طريق أسبابه ، وبين تحويله من صورة إلى صورة أخرى (٣) .

ويتطرق احد الشراح إلى النص قائلا :- " وبني (عليه السلام) على الفرق بين علم الغيب وغيره ، بما يعود خلاصته إلى أن ما كان بواسطة معلم فليس بعلم غيب وما كان دون واسطة فهو علم الغيب " (٤) . ونجد أن هذا النص وظف خير توظيف بالقول :- " يعني عنده سبحانه علم وقت قيامها واستأثر به ولم يطلع عليه احد من خلقه ، ويعلم نزول الغيب في مكانه وزمانه ، ويعلم ما تحمل الحوامل ، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ، ومن يكون في النار حطبا أو في الجنان مرفعا ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ﴾ من خير أو شر بما تعزم على شيء فتفعل خلافه وقيل ما يعلم بقاتله غدا فكيف يعلم تصرفه .

﴿ وما تدري نفس بأي ارض تموت ﴾ وقيل انه اذا رفع خطوة لم يدرك انه يموت قبل ان يضع الخطوة أم لا " (٥) .

أنا أمام ثنائية بليغة تتحدث عن الحياة والموت والحياة تمثلت بالأرحام اما الموت فتمثل ﴿ وما تدري نفس بأي ارض تموت ﴾ ، كما دلت خطبة الامام أن الله سبحانه وتعالى عندما يهب البشر علما ومعرفة تكون قاصرة أمام علمه ومعرفته سبحانه.

1 - تفسير الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الله الشيرازي ٥ د ت ٧٢/١٣

2- نهج البراعة في شرح نهج البلاغة - قطب الدين الراوندي خطبة ١٢٨ ، ٤٥

3- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد خطبة ١٢٨ ، ١١٦

4- شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني خطبة ١٢٨ ، ١٤٩

5- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة خطبة ١٢٨ ، ٢١٢

٣- قال تعالى :- ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا ﴾ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ سورة نوح الايات ١٠-١١-١٢

هذه الآية وردت في خطبة الإمام علي (عليه السلام) وفيها تنبيه العباد على وجوب استغاثة رحمة الله اذ حُبست عنهم رحمة المطر وكيف إن مافي الكون من ارض وسماء مطيعتان لله وان عدم استسقاء السماء لهم إنما هو بسبب ابتلاء الله لعباده عندما يعملون السيئات ، وكيف انه تعالى جعل الاستغفار لدرور الرزق عليهم واستشهد عيه السلام بقوله تعالى :- ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا ﴾ ، يقول الامام " أن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وأغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ويقلع مقلع ، ويتذكر متذكر ، ويزدجر مزدجر ، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ، ورحمة الخلق فقال سبحانه ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وجنات وأنهارا ﴾ فرحم الله أمراً أستقبل توبته وأستقال خطيئته ، وبادر منيته ... " (١).

ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا ﴾ أي ارجعوا إليه وارجعوا عما انتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ، ولهذا قال :- ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ أي متواصلة الأمطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ﴿ فقلت استغفروا ربكم ﴾ " (٢).

وورد أيضا في تفسير هذه الآية " ﴿ استغفروا ربكم ﴾ بالتوبة عن الكفر ﴿ انه كان غفارا ﴾ للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا لنن كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيانه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنع ولذلك وعدهم بما هو أوقع في قلوبهم وقيل لما طالبت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسايتهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله :- ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل الظلمة والسحاب والمدرار كثير الدور ويستوفي هذا البناء المذكور والمراد بالجنات البساتين " (٣).

ويدل قول الإمام أن الله تعالى يحب التوبة من عباده فهو يغفر الكثير من الذنوب إلا أن اصراره على طلب الإستغفار من العبد فيها طهارة وجدانية لكل ما بعد الإستغفار في الدنيا كون المغفرة تحدد مسار الانسان وتمنعه من الانحراف والله تعالى يعرف أن اخطاء العباد هي سبب هلاكهم ، ولو تفحصنا الأمر جيداً لوجدنا أن الله يرزق العباد بشرهم وخيرهم فهي رحمة لا يملكها غيره ألا أن أمره بأستغفارهم هي رحمة أيضا لما يتبعها من درور الامطار وكثرة الخيرات والإمداد بالأموال والبنين والنعم الدنيوية الاخرى فضلا عن رفع غضب الله ومقته عنهم فعذل المجتمع الانساني وباطله يتصل بخير الحياة ونكدها فقد يعمل الانسان في يديه ما يفسد مجتمعه او العكس ثم أن هذا الخير يتبعه لافي الدنيا فحسب أنما الآخرة دار البقاء تكافؤه بجنة ونعيم فالحمد سبحانه وتعالى لاجابة له بأستغفارنا أو عدمه أنما هو أمر لمنفعتنا فقط.

والخلاصة :- إن الله تعالى يفيض عليكم بأمطار الرحمة المعنوية وكذلك بالأمطار المادية المباركة ومن الملاحظ في سياق هذه الآية أن السماء تكاد أن تهبط من شدة هطول الأمطار إذ إن الأمطار رحمة وليست نقمة وانه لا تسبب الأضرار بل أنها سبب الأعمار والإطراء والاختصار ثم يضيف :- ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ وعلى هذا الترتيب فانه قد وعدهم بنعمة معنوية كبيرة وبخمس نعم أخرى مادية وكبيرة والنعمة المعنوية الكبيرة هي غفران الذنوب والتطهير من دون الكفر والعصيان ، واما النعم المادية فهي

1- شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ٢/ ٢٢٦ خطبة ١٤٢

2- تفسير القرآن العظيم - للأمام الجليل الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت (٧٤٧هـ) ٤/ ٤٢٥

3- انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ابو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت (٦٨٥هـ) ٣/ ١٥٢-١٥٣

هطول الأمطار المفيدة والمباركة في حينها ، كثرة الأموال ، كثرة الأولاد ، الثروات الإنسانية، الحقائق المباركة، والأنهار الجارية (١).

من خلال مواءمة الشرح بين دلالة هذا النص القرآني في التفسير نلاحظ إن المعنى ينطبق عندما يقول أحد شراح النهج عن هذا النص :- " فهو تذكير بنعمة الله عليهم ، وانه يزيدهم من فضله إن عبدوا واستغفروا تماما كقوله تعالى :- ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمّنهم من خوف ﴾ فرحم الله امرأ استقبل توبته " (٢).

ونلاحظ ان المعنى يزداد دلالة عند التمعن في الكلام آتاتي :- " ﴿ واستغفروا ربكم انه كان غفارا ﴾ قال الطبرسي في تفسيره :- أي اطلبوا منه المغفرة ، فمتى رجعتكم عن كفركم ومعاصيكم وأطعتموه ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ أي كثير الدروب الغيث ، وقيل انه كانوا قد قحطوا واستنوا وهلك أموالهم وأولادهم فلذلك رغبهم في رد ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله تعالى ، ويمدّكم بأموال وبنين أي يكثر أموالكم وأولادكم الذكور . ويجعل لكم جنات أي بساتين في الدنيا ويجعل لكم انهار تسقون بها جناتكم ، قال قتادة :- علم نبي الله نوح عليه السلام انهم كانوا اهل حرص على الدنيا فقال :- هلموا إلى طاعة الله فإنه فيها درك الدنيا والآخرة ، وروى الربيع بن صبيح إن رجلا أتى إلى الحسن عليه السلام فشكى إليه الجدوية . فقال له الحسن (عليه السلام) :- استغفر الله ، واتاه آخر فشكى إليه الفقر ، فقال له :- استغفر الله واتاه آخر فقال :- ادع الله ان يرزقني ابناً ، فقال له :- استغفر الله ، فقلنا :- اتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال عليه السلام :- ما قلت ذلك من ذات نفسي انما اعتبرت فيه قوله تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه :- استغفروا ربكم انه كان غفارا . الخ هذا والآيات والأخبار من فضيلة الاستغفار وكونه سببا لدرور الرزق وسائر ما يترتب عليه من الثمرات الكثيرة . فمن الآيات ما مرقوله تعالى في سورة هود (عليه السلام) حكاية عنه انه قال لقومه :- وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا . ومن الأخبار في الكافي بأسناده عن زرارة قال :- سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول إن العبد اذا أذنب ذنبا أجل من غدوة إلى الليل فأن استغفر الله لم يكتب عليه وعن ابي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :- من عمل سيئة أجل فيها سبع ساعات من النهار فأن قال :- استغفر الله ، الذي لا اله الا هو الحي القيوم ، ثلاث مرات لم تكتب عليه وعن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :- العبد المؤمن إذا أذنب ذنبا أجله الله سبع ساعات وان استغفر الله لم يكتب عليه شيء وان مضت الساعات ولم يستغفر كتب الله عليه سيئة وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر الله له . وان الكافر لينساه من ساعته وعن أبي عبد الله قال :- مامن مؤمن يقترب في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم :- استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام وأسأله ان يصلي على محمد وال محمد وان يتوب عليّ الاغفرها الله له عز وجل ولا خير من يقترب في يومه أربعين كبيرة وفي ثواب الأعمال بسنده عن أسكوتي عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن ابيه عن ابيه عليه السلام قال :- قال رسول الله :- لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار" (٣)

ويتضح الأمر أكثر في أثناء شرح نص نهج البلاغة كان " الاستغفار سبب للدرور من :- در الضرر باللبن درور الرزق فقال حكاية عن نوح عليه السلام لقومه ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ أي تدر بالمطر كثيرا او مرارا ﴿ ويمدّكم بأموال وبنين ﴾ في الكافي قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام لا يولد لي : فقال استغفر ربك في السحر مائة مرة فأن نسيته فأفضه .

وفيه عن الابرش الكلبي :- شكا إلى أبي جعفر عليه السلام انه لا يولد لي ولد ، فقال :- استغفر الله في كل يوم وفي كل ليلة مئة مرة فأن الله يقول ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمدّكم بأموال وبنين ... ﴾ وتتم الآية الأخيرة ﴿ ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ فرحم الله امرأ استقبل توبته قال هود لقومه ﴿ وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم

1- تفسير الامثل ٥٣/١٩

2- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد خطبة ١٤٣ ، ٣١٧

3- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١٠٩

ولا تتولوا مجرمين ﴿ سورة هود الآية ٥٢ ﴾^(١). لذا الاستغفار هو التطهر النفسي والبدني يعكسه الانسان على المجتمع فتصبح اعماله وافعاله محط عناية منه وبحسبان لعقاب آلهي يترقبه لأي عمل منكر واذا كان الأمر هكذا تسود العدالة المجتمع ويظهر التغيير واضحاً في الطبيعة بما فيها من رزق سماوي يرسله الله مدراراً بامطار زاهية تبعث الخير والنماء في كل مكان ومدد طويل من أموال وبنين يبعد عن الإنسان الحاجة ويمنحه القوة.

إن الاستغفار سبب للرزق مادياً كان او معنوياً والرحمة الالهية هي مبعث لذلك الاستغفار من الله سبحانه وتعالى بصلّة تؤكد علاقة العبد بربه وأنقياده إليه .

٤- قال تعالى ﴿الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ سورة العنكبوت ٢-١

هذه الآية وردت في إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام إذ قام إليه رجل واراد من الإمام عليه السلام ان يخبرهم عن الفتنة وهل سأل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عنها فأخبرهم(صلى الله عليه وآله وسلم) انه لما نزلت ﴿الم ، أحسب الناس...﴾ علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله بيننا .

خاطب الامام علي اهل البصرة في خطبة طويلة حتى قام اليه رجلا " فقال :- يا أمير المؤمنين ! اخبرنا عن الفتنة وهل سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال (عليه السلام) :- لما أنزل الله سبحانه قوله ﴿الم ، أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أظهرنا فقلت :- " يارسول ما هذه الفتنة التي اخبرك الله تعالى بها ؟ فقال :- يا علي أن أمتي سيفتنون من بعدي ، فقلت :- يارسول الله او ليس قد قلت لي يوم أحد حيث أستشهد من أستشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة ، فشق ذلك علي ، فقلت لي :- أبشر فأن الشهادة من ورائك فقال لي :- أن ذلك كذلك فكيف صبرك أذن فقلت :- يارسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ، ولكن من مواطن البشرى والشكر فقال :- يا علي أن القوم سيفتنون بأموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع قلت :- يارسول الله فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك أبنزل ردة أم بمنزلة فتنة؟ فقال :- بمنزلة فتنة " (٢).

إن الاستفهام الإنكاري الذي كان واضحاً في بداية الآية يؤكد أن الشهادة ليست مجرد كلمات تردد على الألسن دون أن تقترب بفعل بارز من غير امتحان بل أن الله سبحانه وتعالى يبتلي الإنسان بضروب البلاء حتى يعرف مدى صبره ورسوخ أقدامه وقوة عقيدته كي يميز المؤمن المجاهد الثابت على عقيدته من غيره المضطربة عقائده دون هدف إيماني واضح ودليل الإمام (عليه السلام) الأنبياء والرسل والصلحاء في الارض مروا بتجارب مضمية انهكتهم الا انها لم تلين عزيمتهم وثبات أقدامهم فأصبح البؤس والضر في مجتمعاتهم مبعث قوة لديهم وشكر من الله سبحانه وتعالى على ما يمرون به من ظروف قاسية ، أما دليل الفتنة هنا قد يتحدد بأكثر من معنى منها انه إمتحان من الله سبحانه وتعالى حينما يمر بظروف عدة قد تكون سعيدة هائلة ليعرف مدى إيمانه وشكره لله دون اقتراف ما حرمه تعالى أو يمر بمصائب وظروف قاسية قد تدفع الإنسان الى ضعف الإيمان او العكس ومن يحص بالبليّة ويبقى راسخاً بإيمانه فهي غاية قصوى ينشد اليها المؤمنون .

وورد في تفسير هذه الآية " ﴿أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ استفهام إنكاري ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباد المؤمنين بحسب ما عنده من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح " اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه فأن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء ، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ سورة التوبة الآية ١٦ وقال في سورة البقرة ﴿ أم حسبكم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ سورة البقرة آية - ٢١٤ ولهذا قالها ههنا ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ سورة العنكبوت آية ٣ الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان ويكون وما لم يكن

١- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ١٢١

٢- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٢/ ٢٤٦ خطبة ١٥٥

لو كان كيف يكون وهذا مجتمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله ﴿الآن لنعلم﴾ إلا لنرى وذلك لأن الرؤيا تتعلق بالموجود والعلم اعم من الرؤيا فإنه يتعلق بالمعوم والموجود ﴿(١)﴾. مما ورد ايضا في تفسير هذه الآية الحسبان هو الظن وجملة " ان يتركوا " قائمة مقام مفعولية ، وقوله :- ﴿ أن يقولوا ﴾ بتقدير باء السببية ، والفتنة : - الفتنة الامتحان وربما تطلق على المصيبة والعذاب والافوق للسياق هو المعنى الاول ، والاستفهام للأنكار والمعنى اظن الناس ان يتركوا فلا يتعرض لحالهم ولا يمتحنوا بما يظهر به صدقهم او كذبهم بدعوى الإيمان بمجرد قولهم آمنا وقيل :- المعنى اظن الناس ان يتركوا فلا يبتلوا ببليّة ولا تصيبهم مصيبة لقولهم :- آمنا بأن تكون لهم على الله كرامة بسبب الإيمان يسلموا بها من كل مكروه يصيب الانسان مدى حياته او لا يخلو من بعد بالنظر الى سياق الآيات (٢).

ومما ورد ايضا في تفسير هذه الآية :- ﴿ احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ يذكر القرآن هذه الحقيقة - بعد الآية المتقدمة مباشرة ، وهي ان الامتحان سنة الهية دائمة ، فالامتحان لا يختص بكم - ايها المسلمون - بل هو سنة جارية في جميع الامم المتقدمة ، اذ يقول :- ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ لقد كان اولئك امثالكم في المواقف الامتحانية الشديدة الصعبة ... وكانوا - ايضا - تحت تأثير ضغوط الاعداء القساة والجهلة المعاندين .. فساحة الامتحان كانت مفتوحة دائما ، واشترك فيها جماعة كبيرة ، وينبغي ان يكون الامر كذلك ، لأنه في مقام الادعاء يمكن لكل واحد ان يذكر عن نفسه وانه اشرف مجاهد وافضل مؤمن واكثر الناس تضحية (٣).

ومن خلال المزج بين دلالة هذا النص القرآني في التفاسير وشرح النهج نلاحظ ان هذا المعنى يزداد عندما يقول احد شراح النهج عن هذا النص قوله :- (عليه السلام) " ﴿ الم ، احسب الناس ﴾ أنزلت بعد أحد وهذا خلاف قول ارباب التفسير ، لأن هذه الآية هي في سورة العنكبوت وهي عندهم بالاتفاق مكية - ويوم احد كان بالمدينة ، وينبغي ان يقال في هذا :- ان هذه الآية خاصة نزلت بالمدينة ، وأضيفت الى السور المكية فصارت واحدة ، وغلب عليها نسب المكي لأن الاكثر كان بمكة وفي القرآن مثل هذا كثير كسورة النحل فأنها مكية بالاجماع ، واخرها ثلاث آيات أنزلت بالمدينة بعد يوم أحد وهي قوله تعالى :- ﴿ وإن عوقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبروا صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ " (٤).

إذ استطاع ان يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال قول احد الشراح في أثناء شرح النص قائلا " فقلت :- يارسول الله لو بينت لي قليلا ، فقال :- ان أمتي ستقتن من بعدي فتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع ، وتحرف الكتاب عن مواضعه ، وتغلب كلمة الضلال ، فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدها حاشت عليك الصدور ، وقلبت لك الأمور ، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الاولى فقلت :- يارسول الله فبأي المنازل هولاء المفتونين بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة ؟ فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل ، فقلت يارسول الله ، يدركهم العدل منا ام من غيرنا ؟ قال :- بل منا فبنا فتح وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك . فقلت :- الحمد لله على ما وهب لنا من فضله ، وليس في هذا الفصل غريب ينبه عليه سوى قوله :- ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر ، فأنت علمت فيما سلف أن الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية للسالك الى الله تعالى لكن علمت ان مقام الشكر ارفع من مقام الصبر ، ولما كان هو عليه السلام سيد العارفين بعد سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) لا جرم كان اولى من صدرت عنه هذه الاشارة فأما اخبار الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن الناس سيفتنون بأموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويؤمنون سطوته وسائر ما أخبر به الى قوله :- بالبيع فكل ذلك مشاهد في زماننا وقبله بقرون ، واما كون ذلك منزلة فتنة لامنزلة ردة فبلفائهم على الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبهة غطت على اعين ابصارهم " .

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠ هـ) ٤٠٤/٣

2- الميزان في تفسير القرآن ١٠٢/١٦

3- تفسير الامثل ٣٠٤/١٢

4- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد خطبة ١٥٥ ، ٢٠٧

ونلاحظ هنا ما قال (عليه السلام) :- " لما أنزل الله قوله (الم) آه علمت الى قوله فقلت يارسول ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون من بعدي) وهذا الجواب من النبي (صلى الله عليه وآله) له (عليه السلام) وان كان مجملاً لم يصرح به بأن افتتان الامة بعده (صلى الله عليه وآله) بماذا الا انه (عليه السلام) قد فهم منه مراده (صلى الله عليه وآله) منه الافتتان به (عليه السلام) وامتحانهم بولايتهم وفهمه (عليه السلام) لك منه أما من باب سر الحبيب مع الحبيب او بقرينة تصريحية (صلى الله عليه وآله) به في غيره ، فقد روي في غاية المرام عن ابن شهر آشوب عن ابي طالب الهروي بأسناده عن علقمة وابي ايوب انه لما نزل ﴿الم﴾ ، احسب الناس ان النبي (صلى الله عليه وآله) لعمار انه سيكون من بعدي هنا حتى يختلف السيف فيما بينهما حتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يتبرأ بعضهم من بعض ، فإذا رأيت ذلك فليكن بهذا الاصلح عن يميني علي بن ابي طالب ، فان سلك الناس كلهم وادياً فأسلك وادي علي ، وخل عن الناس ، يا عمار ان علياً لا يردك عن مدى ولا يردك الى ردى ، يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله . وفيه عنه من طريق العامة ايضاً في قوله :- ﴿الم﴾ ، احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴿﴾ قال علي (عليه السلام) يارسول الله ماهذه الفتنة ؟ قال (صلى الله عليه وآله) :- يا علي بك ، وانك المخاصم فأعد للخصومة ، وفيه عن محمد بن العباس مسنداً عن الحسين بن علي عن ابيه (صلوات الله عليهم اجمعين) قال :- لما نزلت :- ﴿الم﴾ ، احسب الناس ... ﴿﴾ قال :- قلت يارسول الله ماهذه ؟ قال :- يا علي انك مبتلى بك وانت مخاصم فأعد للخصومة ، وعن محمد بن العباس قال :- حدثنا احمد بن حوذة عن ابراهيم بن اسحق عن عبد الله بن حماد عن سماعة بن مهران قال :- كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات ليلة في المسجد ، فلما كان قرب الصبح دخل امير المؤمنين (عليه السلام) فناداه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال يا علي ، فقال :- ليبيك قال هلم الي ، فلما دنا منه قال :- يا علي بت الليلة حيث تراني وقد سألت ربي الف حاجة فقضيها لي وسألت لك ربي ان يجمع لك امتي من بعدي فأبى علي ربي فقال :- ﴿الم﴾ ، احسب ٥٠ ﴿﴾ وهذه الروايات وما بمعناها معالم نوردها وهي دلالة على ان الافتتان من بعده (صلى الله عليه وآله) انما هو بولاية امير المؤمنين (عليه السلام) (١).

ويدل الإمام علي (عليه السلام) أن الفتنة ظهرت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وإن كان مرضه (صلى الله عليه وآله) بداية لها ، إذن الفتنة هي ليست فقط إختبار وإبتلاء للأمة إنما هي امتحان لشخص الإمام (عليه السلام) فلم تنفذ وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) في غدير خم وإن الامام هو خليفته من بعده لكن الأمة أختارت طريقاً آخر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وأدعت الخلافة من بعده لغير الإمام (فمن يقدر منهم ان يدعي كونه خليفته في حياته كما أن فتن السامري لبني اليهود كان بعد غيبوبة موسى) (٢).

٥- قال تعالى: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ سورة فصلت

هذه الآية وردت في احدى خطب الامام علي (عليه السلام) وهو (عليه السلام) ينصح الناس ويبين لهم القدر والقضاء والماضي قد وقع وانتهى وهو متكلم (عليه السلام) بحجة الله واستدل بهذه الآية إذ يقول الإمام في خطبته واعظاً ومبيناً فضل القرآن ونهيه عن البدعة " الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورد وأنا متكلم بعدة الله وحجته ، قال تعالى :- ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ وقد قلتم :- ربنا الله ، فاستقيموا على كتابه ، وعلى منهج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ، ثم لا تمرقوا منها ، ولا تبتعدوا فيها ولا تخالفوا عنها ، فأن اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة " (٣).

ورد في تفسير هذه الآية "﴿ان الذين قالوا ربنا الله...﴾ ونحو قوله تعالى - انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - والمعنى :- ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته . وعن ابي بكر الصديق :- استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً ، وعنه انه تلاها ثم قال :- ماتقولون فيها ؟ قالوا لم يذنبوا ، قال :- حملتم الامر على اشده ، قالوا :- فما تقول ؟ قال :- لم يرجعوا الى عبادة الاوثان . وعن عمر :- استقاموا على الطريقة :- لم

1- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢٩٣- ٢٩٤- ٢٩٥

2- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ٣٠٠- ٣٠١

3- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٢/ ٢٨٠ خطبة ١٧٥

يرغوا روغان الثعلب وعن عثمان :- اخلصوا العمل وعن علي (عليه السلام) ادوا الفرائض وقال سفيان بن ابي عبدالله الثقفي " قلت يا رسول الله اخبرني بأمر اعتصم به قال :- قل ربي الله ثم استقم ، قال :- فقلت ما اخوف ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول الله (صلى الله عليه واله) بلسان نفسه فقال :- هذا ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن :- عند الموت ، وفي القبر ، واذا قاموا من قبورهم ﴿ لا تخافوا ﴾ أي بمعنى لا تخافوا والهاء ضمير الشأن ، وفي قراءة ابن مسعود :- لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا ، والخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن عما يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار . والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ماتقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم " (١).

إن الاستقامة تدل على الطريق القويم الذي يتجه نحو الحق دائما ويبحث عن العدالة في كل الظروف من غير ميل وانحراف وعلى الرغم من قلة من يسلك هذا الطريق ، واثبتت احداث الامم على مر السنين حال المؤمنين وكيف أن الملائكة تقوي من عزيمتهم وتثبت قلوبهم فهم من يطمئن من الخوف والحزن والخوف هنا من مكروه دنيوي فهذا امره يسير لديهم على الرغم من صعوبة أنما الخوف من عذاب الله والحرمان من جائزته تعالى الثمينة وهي الجنة ، اما الحزن فهو دليل على خوفهم من اكتساب السيئات التي تنهي بأعمالهم الخيرة فيأتي جواب الله سبحانه وتعالى الا تخافوا ولا تحزنوا فأنتم من تنزل عليكم الملائكة بالرحمة والامن هذا فضلا عن البشرى العارمة بعد الحياة الدنيا بالجنة.

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- تفسير نزول الملائكة على المؤمنين المسلمين :- يعمد القرآن الكريم في اسلوبه وضع صورة متقابلة ومتعارضة من الحالات التي يتناولها كي يوضحها بشكل جيد من خلال المقايسة والمقارنة فبعد ان تحدث عن المنكرين والمعاندين الذين يصدون عن آيات الله وابان جزاءهم وعقوبتهم ، بدأ الان في الصورة المقابلة في الحديث من المؤمنين الراسخين في ايمانهم ، ومع اشارة الى سبعة انواع من الثواب الذي يشملهم جزاء لهم ومثوبة لهم . يقول تعالى :- ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ... ﴾ ا انه تعبير جميل وشامل يتضمن كل الخير والصفات الحميدة فلو يوجه القلب الى الله يوثق الايمان به تعالى ويقويه ثم سيطرة هذا الايمان وهيمنته على كل مرافق الحياة وثبات السير في هذا الطريق ، طريق الاستقامة . هناك الكثير من الذين يدعون محبة الله الا اننا لا نرى الاستقامة واضحة في عملهم وسلوكهم ، فهم ضعفاء عاجزون بحيث عندما يشملهم طوفان الشهوة يدعون الايمان ويشركون في عملهم ، وعندما تكون منافعهم في خطر يتنازلون عن ايمانهم الضعيف ذلك .

ففي حديث عن رسول الله (صلى الله عليه واله) انه بعد ان تلا الآية قال :- قد قالها الناس ثم كفر اكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها وفي نهج البلاغة يفسر الإمام (عليه السلام) هذه الآية بعبارة حية وناطقة عميقة المعنى يقول الامام علي (عليه السلام) :- وقد قلتم (ربنا الله) تستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تحرفوا منها ولا تبتدعوا فيها ، ولا تخالفوا عنها وفي مكان اخر نرى ان الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) اجاب في تفسير معنى الاستقامة بقوله :- التوحيد ، والطريق الاسلامي الاصيل ، واستمرار العمل الصالح ، وهذا هو تفسيره (عليه السلام) ، قد روي ان رجلا جاء الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له :- اخبرني بأمر اعتصم به ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (قل ربي الله ثم استقم) ثم سأل الرجل رسول الله عن اخطر شي ينبغي عليه ان يخشاه فمسك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسانه وقال :- هذا والآن لنرى ماهي المواهب الالهية التي يشتمل من يتمسك بهذين الاصلين ويحبهما في اعماقه القرآن الكريم يشير الى سبع مواهب عظيمة تقوم ملائكة الله بتبشيرهم بها عندما تهبط عليهم (٢)

ونلاحظ ان هذا المعنى ينطبق مع خطبة الإمام " ان الله تعالى وعد الذين اقرؤا بالربوبية ولم يقتصروا على الاقرار بل عقبوا بذلك بالاستقامة ان ينزل عليهم الملائكة عند موتهم بالبشرى ولفظة ثم للتراخي والاستقامة مفضلة على الاقرار باللسان ، لأن الشأن كله في الاستقامة ، ونحوها قوله تعالى :- ﴿ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ ، أي ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته ، والاستقامة ههنا ،

1- تفسير الكشاف ٤٥٣/٣

2- تفسير الامثل ٣٦٣/١٥

هي الاستقامة الفعلية شافعة للاستقامة القولية – «وتنزل عليهم الملائكة» ، عند الموت ، او في القبر ، او عند النشور ، ولا تخافوا» ان «بمعنى (أي) ، وتكون خفيفة من الثقلية واصله (انه لاتخافوا) والهاء ضمير الشأن " (١) » .

اذ استطاع ان يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال ما نجده من قول احد الشراح في اثناء شرح النص قائلاً :- " وعد الله الذي يتكلم به هو :- ما وعد به عباده الذين اعترفوا ببروبيته واستقاموا على سلوك سبيله من تنزل الملائكة عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة ، واما حجتة التي تكلم بها فقوله ، :- وقد قلتم :- ربنا الله .

ونلاحظ ان احد شراح النص يقول :- قال تعالى :- «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» الآية في سورة فصلت وبعدها «نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم» وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه ولا تكونوا كالذين حكا الله تعالى هجرهم كتابه حتى يشكو نبيهم منهم يوم القيامة " (٢) .

أن دلالة الايمان واستقامة الافعال قد تتضح من خلال سياق النص القرآني الذي يدرك صعوبة الازمات والمحن التي يمر بها المؤمنون الصادقون حينما تقترب اقوالهم بأفعالهم أما حينما تتحول الاقوال دون افعال فهي انحراف عن الاستقامة والطريق القويم الذي اراده الله سبحانه وتعالى .

المبحث الثاني

دلالة الشاهد القرآني في رسائل الإمام علي (عليه السلام)

١- قال تعالى :- «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين» سورة الاعراف ٨٩

هذه الآية وردت في نهاية دعاء له (عليه السلام) حين لقي العدو في اثناء الحرب وهو يشكو الله تعالى ، غيبة النبي (صلى الله عليه واله) وكثرة الاعداء وتشتت الاراء . فختم دعأؤه بقوله تعالى :- «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» (٣) (ورد في تفسير هذه الآية :- " «ربنا افتح بيننا وبين قومنا» ٠٠٠ يقول ٠٠ احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ، ولكنه عدل وحق » وانت خير الفاتحين يعني :- خير الحاكمين " (٤))

كتب الإمام (عليه السلام) رسالة الى معاوية منها " وأصرف الى الآخرة وجهك ، فهي طريقنا وطريقك ، واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل ، وتقطع الدابر فإني أولي لك بالله آية غير فاجرة ، لأن جمعتي وإياك جوامع الاقدار لأزال بباحثك » حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٥) » وورد في تفسير هذه الآية :- " «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» ٠٠٠ يسأل ربه ان يفتح بينهم أي بين شعيب والمؤمنين به ، وبين المشركين من قومه ، وهو الحكم الفصل فأن الفتح بين شيئين يستلزم إبعاد كل منهما عن صاحبه حتى لا يماس هذا ذاك هذا دعاءه (عليه السلام) بالفتح وكنى به عن الحكم والفصل وهو الهلاك او مما هو بمنزلة وبهم الخاسر من الراجح والهالك من الناجي وهو يعلم ان الله سينصره ، وان الخزي اليوم والسوء على الكافرين لكنه عليه السلام اخذ بالنصفه للحق وتأدب بإرجاع الامر في ذلك الى الله كما اتى بنظير ذلك في قوله السابق :- فأصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين " (٦) »

إن دلالة الفتح في قوله تعالى الذي تمثل به الامام علي في رسالته تأخذ معنى الحكم فهو (عليه السلام) يطلب من الله سبحانه وتعالى ان يحكم بينه وبين هؤلاء القوم ثم تبدأ ابواب الرحمة تفتح فهو خير الفاتحين وإذا كان الفتح هنا بمعنى الحكم فهو حكم عادل يطلب من لدن حكيم عدل بعد ان بلغ الظلم نهايته واجتاحت الامة حالة من الفساد من دون مراعاة لحرمت الله واوليائه بدليل قوله (عليه السلام) "اللهم وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته ، واستحكم عموده ، واستجمع طريده ، وحذف وليده ، وضرب بجرانه ، فاتح له من الحق يداً

1- شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد خطبة ١٧٥ ، ٢٦ - ٢٧

2- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ٣٢٨

3- جامع البيان للطبري ٢/٩

4- شرح نهج البلاغة – الشيخ محمد عبده ٤٧٩/٣ رسالة ٥٥

5- الميزان في تفسير القرآن ١٩٨/٨

حاصده، تجذ سنامه، وتهشم سوقه، وتصرع قائمه ليتخفى الباطل بقبح حليته، ويظهر الحق بحسن صورته" (١).

ان شرح النص الذي ضم كلام الإمام (عليه السلام) السابق ذكره يدل على أن كلمة الفعل (أفتح بيننا :- تعني أحكم بيننا، والفتاح :- الحاكم) اذ استطاع ان يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال مانجده من قول احد الشراح :- في اثناء شرح النص قائلا :- (الفتاح العليم) قال الشاعر :- وأنا من فتاحتكم نمنى

وقد قال (عليه السلام) في الخطبة التي خطب بها الناس رواها الكليني في الكافي (ص ١١، ج ١٤ من الوافي) ﴿اللهم فأحكم بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الحاكمين﴾ (٢).

ويلاحظ قول: " ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين﴾ سيروا على بركة الله وما اسند عن تميم :- كان (عليه السلام) اذا سار الى القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول :- الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا منقلبون﴾ ، " ثم يستقبل القبلة ثم يرفع يديه الى الله ثم يقول اللهم اليك نقلت الاقدام واتعبت الابدان وافضت القلوب ، ورفعت الايدي ، واشخصت الابصار ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين﴾ سيروا على بركة الله ، ثم يقول :- الله اكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله والله اكبر ، يا الله يا احد يا صمد ، يارب محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم :- لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم كف عنا بأس الظالمين

وعن القيس بن ربيع عن الواحد بن حسان عن حدثه عن علي (عليه السلام) سمعته يقول يوم صفين :- الله اليك رفعت الابصار وبسطت الايدي ودعيت اللسان وافضت القلوب ، وتحولت اليك في الاعمال ، فأحكم بيننا وبينهم بالحق وانت خير الفاتحين ، اللهم انا نشكوا اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا وشدة الزمان علينا ، وظهور الفتن ، اعنا عليهم بفتح تعجله ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره " (٣) والفتح هنا النصر والعزة للإسلام بعد ان تكالب الاعداء على الإمام وأعوانه وأشدت الزمان عليهم حتى ظهرت الفتن فبدت دلالة الفتح في كلام الإمام حكم من الله يتبعه نصر لانه تعالى خير الحاكمين .

٢- قال تعالى :- ﴿ان اولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ سورة ال عمران ٦٨

هذه الآية وردت في كتاب للأمام (عليه السلام) ، ارسله جوابا على كتاب معاوية ، مذكرا اياه بقرابته برسول الله ، وأنه اولى بالطاعة " ﴿ان اولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه ٠٠٠﴾ يقول الإمام (عليه السلام) " فأسلامنا قد سمع ، وجاهليتنا لا تدفع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله ﴿واولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله أن الله بكل شيء عليم﴾ وقوله تعالى :- ﴿ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ فنحن مرة اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة " (٤)

ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ان اولى الناس بابراهيم ٠٠﴾ ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب ﴿للذين اتبعوه﴾ في زمانه وبعده ﴿وهذا النبي﴾ خصوصا ﴿والذين آمنوا﴾ من امته " (٥) ومما ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ان اولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ٠٠٠﴾ الآية في موضع التعليل للكلام السابق وبيان للحق في المقام والمعنى - والله العالم- ان هذا النبي المعظم ابراهيم لو اخذت النسبة بينه وبين من بعده من المنتحلين وغيرهم لكان الحق الا يعد تابعا لمن بعده بل

1- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد - رسالة ١٥، ١١٣

2- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة رسالة ١٥، ١٤٧

3- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة رسالة ١٥، ٣٦

4- شرح نهج البلاغة- الشيخ محمد عبده ٣/ ٤١٦ رسالة ٢٨

5- تفسير الكشاف ١/ ٣٦٤

تعتبر الأولوية به والاقربية منه ، والاقرب من النبي الذي له شرع وكتابهم الذي يشاركونه في إتباع الحق ، والتليس بالدين الذي جاء به ، والأولى بهذا المعنى بأبراهيم (عليه السلام) هذا النبي والذين امنوا لأنهم على الاسلام الذي اصطفى الله به ابراهيم وكذا كل من تبعه دون من يكفر بأيات الله ويلبس الحق بالباطل ٠ وفي قوله للذين اتبعوه تعريض لأهل الكتاب من اليهود والنصارى بنحو الكناية أي لستم أولى بأبراهيم لعدم اتباعكم اياه في اسلامه لله وفي قوله :- وهذا النبي والذين امنوا افراد للنبي (صلى الله عليه واله) وممن تبعه من المؤمنين من الذين اتبعوا ابراهيم اجلاً للنبي وصيانةً لمقامه ان يطلق عليه الاتباع كما يستشعر ذلك من مثل قوله تعالى :- ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ الانعام ٩٠ (١)

وقد استند الإمام علي (عليه السلام) على هذه الآية ليؤكد وجود شبه بينها وبين احداث الرسول (صلى الله عليه وآله) وأوليائه عليهم السلام فالذي يدعي قرابته من إبراهيم هم الأكثر إيماناً بدعوته واشدهم أتباعاً لمنهجهم يلتزمون اهدافه قرباً الى سبحانه وتعالى خاصة الذين عاصروه وبقوا معه في ظل الظروف القاهرة فالحقيقة الماثلة للعيان اكدها الإمام علي (عليه السلام) بهذا الشاهد القرآني أن طريق الايمان الابراهيمي هو نفسه المحمدي وان صلة القرابة بين النبي (صلى الله عليه وآله) وقرابته وبين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وقرابته هو الايمان بالله وأتباع نهجه والسير في طريقه فكل من كان وفيّاً للعقيدة كان وفيّاً لأبراهيم وكل من أتبع تعاليم السماء هو من محمد وآله ونجد النصوص المروية عن أئمة الاسلام تؤكد هذا الموضوع بصراحة تامة من ذلك انه جاء في تفسير (مجمع البيان ونور الثقلين ، نقلاً عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال :- " ان أولى الناس بالأنبياء اعملهم بما جاؤوا به - ثم تلا الآية المذكورة ثم قال :- ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته (وهذا يؤكد ان الله ولي المؤمنين الذين يتبعون رسالة الانبياء فهو وليهم يرعاهم ويحفظهم " (٢).

ولو اطلعنا على شرح النص الذي ضم هذه الآية في كلام الامام (عليه السلام) ، نلاحظ ان هذا المعنى ينطبق عندما يقول احد شراح النهج " القرآن يجمع لنا ما شذ وتفرق عنا بطريقتين بالقرابة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتلا آيتين وبالطاعة في قوله ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ " (٣) اذ استطاع الشارح ان يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال مانجده من قول احد الشراح في اثناء شرح النص قائلاً " ﴿ ان أولى الناس بأبراهيم ٠٠٠ ﴾ انه (عليه السلام) كان اقرب الخلق على اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله) واول من آمن به وصدقه وافضل من اخذ الحكمة ، وفصل الخطاب وكل من كان كذلك فهو أولى بخلافته والقيام مقامه فيما جاءت به الآية فظهر اذن انه (عليه السلام) أولى برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه " (٤).

ولو جئنا الى القول :- " فانه اختار محمداً صلى الله عليه وآله للسفارة بينه وبين عباده لأنه اعلم حيث يجعل رسالته وكذلك الخلافة فلا بد لها من سبب موجب ولا يخلو السبب لموجب لتولي الخلافة من احد فرضين :- اما الرحم أو القرابة من النبي المختار اخذ بظاهر الآية ﴿ واولي الارحام بعضهم أولى ببعض ﴾ سورة الانفال ٧٥ واما التبعية والطاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كما في الآية :- ﴿ ان أولى الناس بابراهيم ٠٠٠ ﴾ لوجدنا انه ليس من شك ان اهل البيت هم اقرب الناس الى رب البيت وصاحبه واعملهم بسنته ، واول من آمن به وناصره ودافع عنه وهذه الحجة العقلية

النقلية التي ادلى بها الامام - تثبت انه أولى بالخلافة من السابق واللاحق دون ان يجد فيها معاوية أي مفر يتشبث به ويحتج عند اهل الشام ولما احتج المهاجرون - الى دعواهم ٠٠٠ تتنازع المهاجرون والانصار على الخلافة ٠ فقال هؤلاء ٠٠ نحن آوينا النبي وناصرناه ، وقال أولئك نحن شجرته وقرابته " (٥)

يتميز هذا النص بدلالة بلاغية تسمى التوازن " كثيراً ما تجيء الجملة في نهج البلاغة متوازنة بأن يتساوى عدد كلماتها أو تتماثل أوزان نهاياتها ، وهذا ضرب آخر من موسيقى التعبير ويحسب الى السمع ويقربه

1- الميزان في تفسير القرآن ٣٧٨/٣

2- تفسير الامثل ٤٠٩/٢

3- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة رسالة ٢٨ ، ٧٩

4- شرح نهج البلاغة - ابن ميثم البحراني رسالة ٢٨ ، ٣٢٣ - ٤٤٢

5- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد محمود جواد مغنیه د ٢٠ رسالة ٢٨ ، ٤٧٢

الى الذوق " (١) إذبرزت الموازنة هنا في قوله وإن بعدت لحمته – وإن قربت قرابته – ان ولي محمد من اطاع الله – وان عدو محمد من عصى الله • ويتبين ان لفظة النبي تحمل صفة القدسية في الطاعة والعصيان لمن تمسك بها أو عصاها.

٣- قال تعالى :- ﴿ اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ سورة المجادلة ٢٢

وردت هذه الآية في نهاية الكتاب الذي ارسله امير المؤمنين (عليه السلام) الى عثمان بن حنيف الانصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها ، جاء فيه " طوبى لنفس أدت الى ربها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل غمضها حتى غلب الكرى عليها ، افترشت أرضها ، وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمست بذكر ربهم شفاهم ، وتقصعت بطول إستغفارهم ذنوبهم

﴿ اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ فأثق الله يا ابن حنيف ، ولتكفك اقراصك ، ليكون من النار خلاصك " (٢) يدل كتاب الإمام (عليه السلام) أن على النفس أن تتحمل الضر وتعركه بجنبها بالصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه وهي غاية في التشبيه عن تحمل الاذى بالصبر هذا فضلا عن طلبه من عامله القيام ليلا بالصلاة والاستغفار فطالما تقصعت الذنوب بكثرة الاستغفار •

ويدل استشهاد الإمام بقوله تعالى ﴿ اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ فحزب الله صفة لا يملكها الا المخلصون حقا المؤمنون بالرسالة ومنهجها ونصيبتهم الفلاح في الدارين وهو الفوز والسعادة والنصرة لكن الاشقياء المبعدين المطرودين عن نعمة الله هم حزب الشيطان الازل في الدنيا والآخرة •

ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ اولئك حزب الله الا ان حزب الله ﴾ • • • • • تشريف لهؤلاء المخلصين في ايمانهم بأنهم حزبه تعالى و ان اولئك المنافقين الموالين لاعداء الله حزب الشيطان وهؤلاء مفلحون و ان اولئك خاسرون وفي قوله :- الا ان حزب الله وضع الظاهر موضع الضمير ليجري الكلام مجرى المثل " (٣).

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ الا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ وبالنظر الى ان الفلاح يقترب دائما مع النصر والغلبة ، لذا فإن معنى الآيتين واحد مع وجود قيد ، هو أن الفلاح اعظم من مفهوم الغلبة ، لأنه يشخص مسألة الوصول الى الهدف ايضا على عكس حزب الشيطان حيث وصفهم سبحانه بالانكسار والخيبة وعدم الموفقية في برامجهم والتخلف عن اهدافهم • ان مسألة الولاية بالمعنى الخاص ، والحب في الله والبغض في الله بالمعنى العام قد اكد عليها كثير في الروايات الاسلامية حتى ان الصحابي الجليل سلمان الفارسي قال لأمر المؤمنين (عليه السلام) يا ابا الحسن ، ما اطلعت على رسول الله الا ضرب بين كتفي ، وقال يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون " (٤)

ولواطلعنا على شرح النص الذي ضم هذه الآية في كلام الامام علي (عليه السلام) نلاحظ ان هذا المعنى ينطبق عندما يقول احد شراح النهج :- " فأن وعد الله من تاب من ذنوبه فأن الله يغفرها تفضلا " (٥) واستطاع الشارع ان يوظف ذلك خير توظيف من خلال ما نجده من قوله " ﴿ اولئك حزب الله ... ﴾ جنده وانصار دينه وهو الجذب الى الدخول في زمرة اوليائه. ﴿ الا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ أي الظاهرون بالبغية " (٦).

ويرى الإمام (عليه السلام) ان حزب الله يحمل الفلاح والتوفيق بأذنه تعالى ذلك الحزب الذي يمثل منهج الرسول وأوليائه الطاهرين بينما يرى في الاحزاب الاخرى التي ترى في الله تعالى وحزبه منهجا لا يمثل اهوائهم ولا يسند الى عقائدهم فأنحازت الى احزابها الشيطانية لذلك منيت بالخسران المبين وهذا الكلام يشمل الولاية والحكام جميعا فهم مسؤولون امام الله عن رعايتهم بالرعية وعنايتهم بافراد اقوامهم •

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ﴾ سورة النساء ٥٩

1- شبكة الامام الرضا الالكترونية رؤية في اسلوب نهج البلاغة

2- شرح نهج البلاغة – الشيخ محمد عبده ٣ / ٤٥١ رسالة ٤٥

3- الميزان في تفسير القرآن ١٧ / ٢٢٧

4- تفسير الامثل ١٨ / ١٤٢

5- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة رسالة ٤٥ ، ١٥٥

6- شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني رسالة ٤٥ ، ١١٨

هذه الآية وردت في كتاب ارسله امير المؤمنين (عليه السلام) للأشتر النخعي ، لما ولاه على مصر واعمالها حين اضطرب امر اميرها محمد بن ابي بكر - وهو اطول كتاب له (عليه السلام) موضحة (عليه السلام) ان هذه الآية قالها عز من قائل لقوم احب ارشادهم :- ﴿ يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾... يقول الإمام في ذلك الكتاب :- " وأردد الى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويجتمع عليك من الامور... فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفارقة " (١).

ان الخطوب قد تشتد على المؤمنين وخاصة مع اقوام لا تعمل بكتاب الله ولا بسنة رسوله لذا اراد الإمام أن يوضح في الشاهد القرآني ان الذين آمنوا وجبت عليهم طاعة الله وطاعة رسوله واولي الامروان النزاع مرده الى الله والرسول ان كان حيا اما اذا كان رهنا للسماء فالرد الى السنة .

ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ يا ايها الذين امنوا ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه :- يا ايها الذين امنوا اطيعوا ربكم فيما امركم به ، وفيما نهاكم عنه ، واطيعوا الرسول محمد (صلى الله عليه واله) فان في طاعتكم اياه طاعة لربكم ، وذلك انكم تطيعونه لأمر الله اياكم بطاعته . ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ﴾ حدثنا احمد بن حازم ، قال :- ثنا ابو نعيم ، قال :- أخبرنا جعفر بن مروان عن ميمون بن مهران ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ﴾ قال :- الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى رسوله ان كان حيا فان قبضه اليه فالرد الى السنة "

وورد ايضا في تفسير هذه الآية :- المراد بأولي الامر منكم أي امراء الحق ، لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم ، وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في اثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان . وعن النبي (صلى الله عليه واله) :- (من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن بطع اميري فقد اطاعني ومن يعصي اميري فقد عصاني) وقيل هم علماء الدين الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهون عن المنكر . ﴿ فان تنازعتم في شئ ﴾ فان اختلفتم انتم اولوا الامر منكم في شئ من امور الدين . ﴿ فردوه الى الله والرسول ﴾ أي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة . (٢)

وجاء في تفسير هذه الآية :- " ﴿ يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾... فلما فرغ من الذنب الى عبادة الله وحده لاشريك له وبث الاحسان بين طبقات المؤمنين وذم من يعيب هذا الطريق المحمود او صد عنه صدودا عاد الى اصل المقصود بلسان آخر يتفرع عنه فروع آخر ، بها يستحكم أساس المجتمع الإسلامي وهو الترغيب في أخذهم بالائتلاف والاتفاق ، ورفع كل تنازع واقع بالرد الى الله ورسوله . ولا ينبغي ان يرتاب في ان قوله :- اطيعوا الرسول جملة سبقت تمهيدا وتوطئة للأمر برد الامر الى الله ورسوله عند ظهور التنازع . وإن كان مضمون الجملة اساس جميع الشرائع والاحكام الالهية ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ﴾ وذلك ان المخاطبين بهذا الرد هم المؤمنون المخاطبون في صدر الآية :- ﴿ يا ايها الذين امنوا ﴾ والتنازع تنازع بلا ريب ولا يجوز ان يفرض تنازعهم مع اولي الامر مع افتراض طاعتهم بل هذا التنازع هو ما يقع بين المؤمنين انفسهم . ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ﴾ فله تعالى طاعة واحدة وللرسول واولي الامر طاعة واحدة . ولذلك قال :- ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ " (٣).

لقد اكد الإمام علي (عليه السلام) احدى اهم المسائل الاسلامية وهي مسألة القيادة والحكم والولاية وهذا امر يلحق بجميع من اتخذ من الدين الاسلامي مسلكا في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ، تبدأ بطاعة الله التي تقف كل الطاعات امامها ثم يطلب إمامنا الحكيم مستشهدا بالآية الكريمة باتباع النبي وطاعته وهو رسول الله والقائد لهذه الامة اولاً لذا " تكون أطاعة الله مما تقتضيه خالقية وحاكمية ذاته المقدسة ولكن إطاعة

١- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٣ / ٤٦٥ رسالة ٥٣

٢- تفسير الكشاف ١- ٥٣٥

٣- الميزان في تفسير القرآن ٤ / ٤١٢

النبي وأتباع امره ناشئ من امر الله . وذهب مفسروا الشيعة ان المراد من اولي الامر هم الائمة المعصومون الذين أنيطت اليهم قيادة الامة الاسلامية المادية والمعنوية في جميع حقول الحياة " (١)

ولواطلاعنا على شرح النص الذي ضم هذه الآية في كلام الامام (عليه السلام) نلاحظ هذا المعنى ينطبق عندما يقول احد شراح النهج :- " امره ان يرد الى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب ويشتهه عليه من الامور محتجا بالآية ، ثم فسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول بالاخذ بسنته واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سلوكه " (٢)

ونلاحظ ان المعنى يزداد دلالة من خلال وجهين :- احدهما :- ان هذا التنازع الذي يوجب في رفعة الرجوع الى الله والرسول هو مايقع بين افراد الامة الاسلامية غير اولي الامر الذي اوجب طاعتهم في رديف طاعة الله وطاعة رسوله فيكون النزاع المردود الى الله ورسوله تارة بين فردين من الامة واخرى بين فرد وجمع من الامة مع اولي الامر او مخصوص بالنزاع بين الامة غير اولي الامر ، ولا بد من القول ان هذا النزاع لا يشمل اولي الامر ، لأن اولي الامر عدول ، وجبت طاعتهم ولا معنى لوجوب طاعة اولي الامر وتصوير النزاع معهم بحيث يرد في رفعة الى الله والرسول فأولوا الامر مندرج في الرسول ولا بد من كونهم معصومين ومصونين عن الخطأ والاشتباه .

والآخر :- ان هذا التنازع المبحوث عنه في الآية لا بد وان يكون في الشبهة الحكمية وفي العلم بكبرى كلية للحكم الشرعي الذي هو نص القانون المرجوع اليه ، كالتنازع في حكم المجوس ، من حيث انهم اهل الكتاب فيشملهم حكم الجزية ام ملحقون بالكفر حتى رجعوا بدلالة مولانا امير المؤمنين (عليه السلام) الى انهم اهل كتاب لقوله تعالى :- ﴿ واصحاب الرس ﴾ وكالتنازع في امر حلى الكعبة في زمان حكومة عمر ، فقال قوم بجواز بيعها وصرفها في تجهيز الجنود الاسلامية لتقوية عساكر الاسلام حتى ارجعهم مولانا امير المؤمنين الى ما نزل في القرآن من احكام الاموال وما عمل به النبي (صلى الله عليه واله) في حلى الكعبة من عدم التعرض لها . واما في الشبهات الموضوعية فقد تتنازع الامة مع النبي (صلى الله عليه واله) نفسه وهو وقع في موارد :- منها في الخروج من الحصون للحرب مع المشركين في احد فرأى النبي اولا التحصين فرد رأيه اكثر الصحابة فرجع الى قولهم وافضى الى هزيمة المسلمين وقتل ما يزيد على سبعين من كبار الصحابة وقد امر (عليه السلام) لرفع التنازع بالرجوع الى محكم الكتاب فقال :- فالرد الى الله الاخذ بمحكم الكتاب ، والظاهر منه ان المرجع عند النزاع اولا هو الرجوع الى الآيات المحكمة في القرآن التي وصفها الله تعالى بأنها ام الكتاب فقال تعالى :- ﴿ هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ﴾ ال عمران ٧ ، فما هي الآية المحكمة ؟ الآية المحكمة هي التي لها دلالة واضحة على المعنى تتوافق مع الذي نزل عليه القرآن ، والمحكم بحسب الاطلاع هو الجامع بين النص والظاهر الذي يتوافق للسان على فهمه من الكلام (٣)

وقد وظف هذا الشاهد من خلال :- " يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم... ﴾ ، وبعده ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا ﴾ وزاد في رواية التحف :- ونحن اهل رسول الله (صلى الله عليه واله) الذين نستنبط المحكم من كتابه ، ونميز المتشابه منه ، ونعرف الناسخ مما نسخ الله ووضع اصره ، فسر في عدوك بمثل ماشاهدته منا في مثلهم من الاعداء ويظهر في كلامه (عليه السلام) ان الحجة تنحصر في محكم الكتاب والسنة المجمع عليها ، وان اجماع الناس على شيء من غير احرار كونه سنة لا عبرة به " (٤)

وتظهر هنا دلالة لطيفة في قوله (عليه السلام) حينما انكر عليه الخوارج تحكيم الرجال " إنا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن هذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القول الى ان يحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله

1- تفسير الامثل ٢٥٤/٣

2- شرح نهج البلاغة - ابن ميثم البحراني رسالة ٥٣ / ١٦٢

3- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة رسالة ٥٣ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ .

4- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة - رسالة ٥٣ ، ٥٤٤ .

سبحانه وتعالى ، وقد قال الله تعالى عز من قال ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورد الى الرسول ان نأخذ بسنته ، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به وإن حكم بسنة رسول الله (صلى الله عليه واله) فنحن احق الناس واولاهم بها " فنلاحظ ان نهاية رسالة الامام كانت تحمل بعداً معرفياً يذكرنا باحقية ولايتهم على الامة وان الولاة الذين يعينونهم هم تحت وصايتهم ينبغي على الامة الا تنازعهم وهي تدرك طريق الإمام الصائب واهل بيته.

٤- قال تعالى :- ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ الصف ٣.

وردت هذه الآية في السياق نفسه الذي ارسله (عليه السلام) للأشتر النخعي ، وهو يعضه ويحذره من المن على رعيته لأنه يبطل الاحسان ، ويذب بنور الحق ، ذاكرًا قوله تعالى :- ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ يقول فيه :- " وإياك والمن على رعيتهك بإحسانك او التزيد فيما كان من فضلك او ان تعدّهم فتنبع موعذك بخلفك ، فإن المن يبطل لإحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله تعالى ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ " (١).

أما تفسير هذه الآية فقد :- " قصد في كبر التعجب من غير لفظة كقوله :- غلت ناب كليب بواؤها . ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون الا في شيء خارج من نظائره واشكاله واسند ان تقولوا ونصب ﴿ مقتاً ﴾ على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص للشوب فيه لفرط تمكن المقت منه ، واختير لفظ المقت لأنه اشد البغض وابلغه ولن يقتصر على ان جعل البغض كبيراً حتى جعل اشده افحشه ﴿ عند الله ﴾ ابلغ من ذلك لأنه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت من الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ، ثم قيل له حدثنا فقال :- تأمروني ان اقول ما لا افعل فأستعجل مقت الله " (٢).

إن دلالة الوفاء بالوعد امرٌ اكده الرسول (صلى الله عليه واله) وإخلاف الوعد يعد نفاقاً في اكثر من حديث له (صلى الله عليه واله) بل ينعت مخلف الوعد بالمنافق ، والإمام علي (عليه السلام) يؤكد الوفاء بالوعد مطلقاً وينكر على من يعد ولا يفي فإن إخلاف الوعد هو نقيض إخلاص المؤمن حتى انه عليه السلام أستشهد بقوله ﴿ كبر لعظمة المقت والكفر ليعلم ولاة أمر المسلمين في الامصار كافة وجوب الوفاء بالوعد مهما كان وهو يحاول ان يرفع من عزيمة ولاته بدعهم في أداء واجباتهم وأن ﴿ كبر مقتاً ﴾ آية قرآنية تحمل هولا وخوفاً من ان يقول الانسان ما لا يفعل كونه باباً للنفاق وقد تفقد الرعية ثقافتها بولاتها حينما يخلف مواعيدهم إذ ان العزم والارادة هي من اهم صفات القيادة وخاصة اذا رافقها الصدق والامانة في ارضاء العباد وورد أيضاً في تفسير هذه الآية :- " يا أيها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ كون قوله انكاراً على من يعد وعداً او يقول قولاً لا يفي به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف الى انه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعود او لا واحتجوا ايضاً في السنة بما ثبت في الصحيحين ان رسول الله (صلى الله عليه واله) انه قال :- (آية المنافق ثلاث اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان) .. وفي الحديث الاخر الصحيح :- (اربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها) . فذكر منهم اخلاف الوعد ولهذا اكد الله تعالى هذا الانكار عليهم بقوله ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ " (٣).

ومما ورد في تفسير هذه الآية " ﴿ كبر ﴾ عظم ﴿ مقتاً ﴾ تمييز وهو اشد البغض ﴿ عند الله ﴾ ان تقولوا ﴿ فاعل كبر ﴾ ما لا تفعلون ﴾ فيه مبالغة في المنع منه " (٤) .

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ المقت :- البغض الشديد ، والآية في مقام التعليل بمضمون الآية السابقة فهو تعالى يبغض من الانسان ان يقول ما لا يفعله لأنه من النفاق ، وان يقول الانسان ما لا يفعله غير ان لا يفعل ما يقوله فالاول :- من النفاق والثاني :- من ضعف الارادة ووهن العزيمة وهي رذيلة منافية لسعادة النفس الانسانية فأنا الله بنى سعادة النفس الانسانية على فعل الخير

1- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٣/ ٤٧٦ رسالة ٥٣.

2- تفسير الكشاف ٤ ، ٩٧.

3- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤ ، ٣٥٧.

4- تفسير القرآن الكريم ، عبدالله شبر ت (١٢٤٢هـ) ٥١٥ .

واكتساب الحسنة عن طريق الاختيار ومفتاحه العزم والارادة ولا تأثير الا للراسخ من العزم والارادة، وتختلف الفعل عن القول معلول وهن العزم وضعف الارادة ولايرجى الانسان مع ذلك خير ولا سعادة " ولو اطلعنا على شرح النص الذي ضم هذه الآية في كلام الامام علي (عليه السلام) نلاحظ ان هذا المعنى يزداد عندما يقول احد شراح النهج " ان هذه الآية تأكيداً لكلامه (عليه السلام) ومقتته مقتاً ابغضه، وفي كبر ضمير فاعل أي كبر المقت مقتاً • واضمر على شريطة التفسير وحسن ان يكون كبر مقتاً خبراً للقول ، لأنه بمعنى الذم ، تقديره قولكم ما لاتفعلون مذموم • كقولك زيد نعم رجلاً فزيد مبتدأ وما بعده الخبر وليس فيه عائد لأن معناه المدح والتقدير زيد الممدوح • ومقتاً نصب على البيان ومحل ان تقولوا رفع على الابتداء وما قبلها الخبر أي قولكم ما لاتفعلون كبر مقتاً عند الله او على اضمار مبتدأ أي هو ان يقولوا " (١).

اذ استطاع ان يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال مانجده من قول احد شراح النص في اثناء شرحه قائلاً:- ((كبر مقتاً عند الله)) الآية والثلاثة صغريات ضمائر تقديرها كبرياتها :- وكلما كان كذلك وجب اجتنابه (٢).

المبحث الثالث

دلالة الشاهد القرآني في حكم الامام علي (عليه السلام)

١- قال تعالى :- ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ الانفال ٣٣ وردت هذه الآية في نهاية حكمة له عليه السلام :- موضحاً ان في الارض امانين من عذاب الله وقد رفع احدهما وهو رسول الله (صلى الله عليه واله) والامان الباقي هو الاستغفار ذاكراً قوله تعالى :- ﴿وماكان الله ليعذبهم﴾ وحكى عنه عليه السلام ابو جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) انه قال :- " كان في الارض امانان من عذاب الله ، وقد رفع أحدهما فلونكم آخرفتمسكوا به ، اما الامان الذي رفع فهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما الامان الباقي فألاستغفار قال الله تعالى﴿وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾" (٣)

ورد في تفسير هذه الآية :- " ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم" أي وانت مقيم بين اظهرهم قال :- وانزلت هذه الآية على النبي(صلى الله عليه واله) وهو مقيم بمكة ، قال :- ثم خرج النبي من بين اظهرهم ، فأستغفر من بها من المسلمين فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها ﴿وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ قال ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم ، فعذب الكفار" (٤) .

وورد في تفسير هذه الآية ايضاً :- " قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا عكرمة بن عمار عن ابي زميل سماك النحتقي عن ابن عباس قال :- كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون :- لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك :- فيقول (صلى الله عليه واله) :- فأنزل الله ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم﴾ الآية قال بن عباس كان فيهم امانان النبي (صلى الله عليه واله) والاستغفار فذهب النبي وبقي الاستغفار" (٥).

واخرج الترمذي عن ابن موسى الاشعري (رض) قال :- " قال رسول الله (صلى الله عليه واله) :- انزل الله علي امانين لأمتي ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فأذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة • اقول مضمون الرواية مستفاد من الآية وقد روي مافي معناه عن أبي هريرة وابن عباس عنه(صلى الله عليه واله) ورواها في نهج البلاغة عن علي (عليه السلام) وفي ذيل هذه الرواية شيء وهو انه لايلئم مامر في بيان المتقدم من إبعاد القرآن هذه الامة بعذاب واقع • وفيه اخرج احمد عن فضالة عن عبيد عن النبي (صلى الله عليه واله) قال العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله " (٦)

كثيراً ما كان الامام علي(عليه السلام) يدل في خطبه على الاستغفار ويحث العباد عليه فوجود النبي كان يمنع نزول البلاء على الرغم من الذنوب التي يقترفها المشركون في المجتمع آنذاك ألا ان الرسول (صلى الله

1- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة رسالة ٥٣ ، ٢٠٣ .

2- شرح نهج البلاغة - ابن ميثم البحراني رسالة ٥٣ ، ١٥٨ .

3- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٤ / ٥١٨ حكمة ٨٨ .

4- جامع البيان للطبري ٩ ، ٢٣٤

5- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢ / ٣٠٥

6- الميزان في تفسير القرآن ٩ ، ٨٤

عليه واله) كان رحمة للعالمين قد انتهت بخروجه من هذه الدنيا أما الامان الآخر فهو الاستغفار فهو باقٍ ما بقيت العباد تدعو اليه وتمارسه بقدسية وطهارة وعدالة انسانية لمنعه نزول العذاب .

ونلاحظ ان هذا المعنى ينطبق عندما :- " قال قوم من المفسرين :- ﴿وهم يستغفرون﴾ وفي موضع الحال ، والمراد نفي الاستغفار عنهم ، أي لو كانوا ممن يستغفرون لما عذبهم ، وهذا مثل قوله تعالى :- ﴿وماكان ربك يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ ، ، فكأنه قال :- لكنهم لا يستغفرون فلا انتفاء للعذاب عنهم . قال قوم :- معناه . وماكان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله (صلى الله عليه واله) من المستضعفين، ثم قال :- ﴿ومالهم إلا يعذبهم الله﴾ أي ولأي سبب لا يعذبهم الله مع وجود ما يقتضي العذاب ، وهو صدهم الرسول والمؤمنين عن البيت في عام الحديبية :- وهذا يدل على ان ترتيب القرآن ليس على ترتيب الوقائع والحوادث لأن سورة الانفال نزلت عقب وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وصد الرسول (صلى الله عليه واله) عن البيت كان في السنة السادسة ، فكيف يجعل آية نزلت في السنة السادسة في سورة نزلت في السنة الثانية ! وفي القرآن كثير من ذلك وانما رتبته قوم من الصحابة في ايام عثمان " (١).

وقد قيل " وللمفسرين فيها تأويلات واقوال تترك القارئ في ظلمات ليس بخارج منها والذي نفهمه نحن ان ضمير الغائبين في ﴿ليعذبهم﴾ يعود الى اهل مكة ، وان المراد بالاستغفار هنا الاسلام ، لأنه نجاة من عذاب الله والمعنى ان الله لا يعذب اهل مكة ما دام فيهم رسول الله (صلى الله عليه واله) اكراما وتعظيما لشأنه ومقامه . وايضا هو سبحانه لا يعذبهم من بعده شريطة ان يؤمنوا برسالته . وقول الامم " دونكم الاخر فتمسكوا به معناه تمسكوا بالاسلام قولا وفعلًا ، ودافعوا عنه بكل ما تستطيعون ، والذي يؤيد ارادة هذا المعنى قوله في الخطبة:- " الاسلام اسم سلامة " والسلامة والايمان كلمتان مترادفتان " (٢).

لقد منعت رحمة الرسول (صلى الله عليه وآله) من ان تمطر السماء على العباد حجارة يعذبهم بها الله ويمنع عنهم بركاته التي لم تنقطع بوجود النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وبعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ظهر الاستغفار رحمة من الله سبحانه وتعالى لعباده دل عليها كتاب الإمام السابق.

٢- ﴿ان أولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾ سورة آل عمران ٦٨

وردت هذه الآية في حكمة الامام علي (عليه السلام) بعدما بين ان اولى الناس بالانبياء هو من كان اعلمهم بما جاؤوا به ذاكرا قوله تعالى :- ﴿ان اولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾ ، إذ يقول الامام علي (عليه السلام) :- " ان اولى الناس بالانبياء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلا ﴿ان اولى الناس بأبراهيم للذين اتبعوه﴾ . ثم قال :- أن ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته " (٣).

ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ان اولى الناس﴾ ان احق الناس بأبراهيم ونصرته وولايته للذين اتبعوه يعني الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوجدوا الله مخلصين له الدين ، وسنوا سنته ، وشرعوا شرائعه ، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به ، وهذا النبي يعني محمدا (صلى الله عليه وآله) ﴿والذين آمنوا﴾ يعني والذين صدقوا محمدا وبما جاءهم به من عند الله ﴿والله ولي المؤمنين﴾ يقول والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين بنبوته وبما جاءهم به من عنده على من خالفهم من اهل الملك والاديان " .

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ان اولى الناس بأبراهيم﴾ اخصهم به ، واقربهم منه للذين اتبعوه سابقا ﴿وهذا النبي والذين آمنوا﴾ معه لموافقتهم له في اكثر شريعته اصالة ﴿الله ولي المؤمنين﴾ ناصرهم " (٤) ويدل قول الإمام علي (عليه السلام) حينما استشهد بالنص القرآني في موضوع الامرة والولاية على ان الامرة علاقة آلهية لا تكون بأرشد من النبي (صلى الله عليه وآله) فحسب وإن كان هادياً للأمة الا ان الولاية هي من الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه الكريم ، والإمام علي بما يحمل من علاقة قرابة بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فضلا عن كونه ناصر الدعوة الاسلامية ووقف بسيفه وبلسانه مدافعا عنها وهو يملك فكر

1- شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد حكمة ٨٥ ، ٢٤٠ - ٢٤١

2- في ظلال نهج البلاغة حكمة ٨٥ ، ٣٠٥

3- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٤ / ٥٢٠ حكمة ٩٦

4- تفسير القرآن الكريم لعبد الله شبر ٥٨

النبي وقديسة روحه الطاهرة حتى اننا نجد أن الإمام علي (عليه السلام) كان بمثابة اخ له لكن هذا لا يصوغ الولاية خاصة ان الإمام نفسه أكد أن ولي محمد من اطاع الله وعدوه من عصى الله ، لذا أقرنت الولاية ايضا بالإيمان واتباع النبي ومناصرة الدين ، وكان ابو الحسن اقرب الناس لهذا الامر .

ومما ورد ايضا في تفسير هذه الآية :- " لوضع حد لجدل اهل الكتاب حول ابراهيم نبي الله العظيم ، الذي كانت كل جهة تدعي انه منها ، وكانوا يستندون غالبا الى قرابتهم منه ، واشتركهم معه في العنصر اعد القرآن مبدأ رئيسا الى الازدهان وهو أن الارتباط والولاء لهم انما يكون عن طريق الايمان واتباعهم فقط ، وبناء على ذلك فإن اقرب الناس الى ابراهيم هم الذين يتبعون مدرسته ويلتزمون أهدافه سواء بالنسبة للذين عاصروه • «للمؤمنين اتبعوه» والذين بقوا بعده اوفياء لمدرسته وأهدافه مثل نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله) واتباعه «وهذا النبي والذين آمنوا» والسبب واضح فأحترام الانبياء انما هو لمدرستهم لا لعنصرهم وقبيلتهم ونسبهم «والله ولي المؤمنين» في الختام يبشر الذين يتبعون رسالة الانبياء العظام بأن الله وليهم ويحفظهم ويعينهم " (١).

وبدل شرح النص الذي ضم هذه الآية في كلام الامام علي (عليه السلام) على هذا المعنى عندما يقول :- " ولما كان الغرض من الانبياء جذب الخلق الى الله بطاعته فكل من كان ابلغ في الطاعة وكان اشد موافقة لهم واقرب الى قلوبهم واغوى نسبة اليهم • ولما لم يمكن طاعتهم الا بالعلم بما جاؤوا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واوْلَاهُمْ بهم وبرهان ذلك الآية المذكورة وذكر حال الانبياء ليعلم مراده الاجمالي ثم خصص الذكر بمحمد (صلى الله عليه وآله) كما هو عادة الخطيب والمراد بالولي هنا الاولى وأشار الى ان طاعة الله عليه للأولوية بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، ومعصيته عليه لعداوته وان بعدت قرابة المطيع او قربت قرابة العاصي ليعلم ان الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للأولوية بمحمد فتحصل الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية " (٢)

ونجد قول احد شارحي النهج يقول :- " لأنه (صلى الله عليه وآله) كان اتبع الناس لأبراهيم قال تعالى " ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وفي (كتاب الطبقات للواقدي) قال قوم من مدلج لعبد المطلب :- احتفظ به (يعنون محمد (صلى الله عليه وآله) ، فإننا لم نرَ قد ما اشبه بالقدم التي في المقام منه • فقال عبد المطلب لأبي طالب :- اسمع مايقول هؤلاء • فكان ابو طالب يحتفظ به «والذين آمنوا» ايمانا حقيقيا " (٣). وهنا المراد باولى الناس بالانبياء الولاية عنهم ويعبر عنها بالخلافة وهي علاقة الهية طبيعية بين النبي وخليفته، ولا تكون هذه الولاية او الخلافة الا للعالم برسالة النبي عامل بها ومناصر له في جميع مواقفه ، ويشير الامام بهذا الى النفس وانه اولى الناس برسول الله لأنه امتداد له علما واخلاقا وتجدر الإشارة الى ان الاسلام يورث العبد من سيده اذا كان قد اعتقه تبرعا ولا وارث سواء ويسمى في اصطلاح الفقهاء الارث بالولاء • فكيف اذا اجتمعت القرابة والولاية معا كما هي الحال بين محمد وعلي (٤).

٣- قال تعالى :- «إنا لله وإنا إليه راجعون» سورة البقرة ١٥٦

وردت هذه الآية على لسان رجل فلما سمع الامام علي (عليه السلام) وضح ان قوله تعالى «إنا لله» اقرار على انفسنا بالملك ، وقوله تعالى «وإنا إليه راجعون» اقرار على انفسنا بالهلك • فبدا التوازن واضحا في بدايات الجمل ونهاياتها ليكون انسجاما يرفع بالكلمات عالياً ليحببها لدى السمع حتى وإن كانت كلمات تهويل وخوف فنلاحظ التوازن بين بالملك – بالهلك اما اقرار على انفسنا بالهلك فهو تكرار يقترب من التوكيد اللفظي ليؤكد حقيقة التبعية لله في كل الامور وكيف نحن ملك يدركنا الهلاك في أية لحظة وفي هذا النص " نلاحظ التعالقات النصية بطريقة جمالية • • • ضمن اللغة الحقيقية في إيصال الدلالة دون غموض او تراكيب لغوية معقدة او مجازية عندما تتطلب بعض مضامين هذه اللغة الحقيقية " (٥)

١- تفسير الامثل ٢ ، ٤٠٩

٢- شرح نهج البلاغة – ابن ميثم البحراني حكمة ٩٢ / ٢٨٩ .

٣- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة حكمة ٩٢ ، ٤٠٤ - ٤٠٥ .

٤- في ظلال نهج البلاغة حكمة ٩٢ ، ٢٧٣ .

٥- موقع صوت العراق الالكتروني نقلا عن المستويات الجمالية في نهج البلاغة – دراسة في شعرية النثر وجريدة الاتحاد العدد الصادر في ٢٧ اغسطس ٢٠٠٩ .

وورد ايضا في تفسير هذه الآية عن النبي (صلى الله عليه وآله) " اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة :- " اقبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون نعم ، فيقول :- اقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون نعم ، فيقول الله تعالى :- ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى :- ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد " (١).

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- " وفي الخصائص للسيد الرضي عن امير المؤمنين قال :- وقد سمع رجلا يقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ يا هذا ان قولنا ﴿إنا لله﴾ اقرارا منا بالملك ﴿وإنا إليه راجعون﴾ اقرارا منا بالهلك " (٢).

تدلنا هذه الآية في كلام الإمام علي (عليه السلام) أن ملكية الانسان مطلقة لله سبحانه وتعالى ومانحن إلا اقوام ثبتت علينا العبودية وما نملك من أشياء سواء كانت مادية أو معنوية كلها ملك لله قد يصرفها عنا في لحظة وتزول فالكمال لله وحده والقوة والعظمة والمال والسلطة التي يتبجح بأمتلاكها البعض ماهي إلا عارية مردودة الى الله سبحانه ووسيلة أعطاه الله سبحانه وتعالى للبشرية كي ترتقي في اصلاح المجتمع وتكامله ومن يدعي خلاف ذلك فليأت دليل على تكامله وليقل أنه خالد لا يموت وأن أملاكه لا تزول وأن قوته لا تضعف وهذا من باب الاستحالة، وحينما يمر الانسان بأمر صعب وظرف مريب كفقْدان أحد أحبائه وترتفع نفسه السامية ويؤكد الآية الكريمة ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ فهذا يدل على استقامة النفس والصبر في الشدائد وحقيقة الايمان والتوحيد لله .

ونستدل من شرح النهج الذي ضم هذه الآية في كلام الامام علي (عليه السلام) كون :- " قوله ﴿إنا لله﴾ اعترافا بأننا مملوكون لله وعبيد له ، لأن هذه اللام لام التملك ، كما تقول الدار لزيد فأما قوله :- ﴿وإنا إليه راجعون﴾ فهو اقرار واعتراف بالنشور والقيامة لأن هذا هو معنى الرجوع اليه سبحانه ، وامتنع امير المؤمنين عن التصريح بذلك فذكر الهلك فقال انه اقرار على انفسنا بالهلك لأن هلكنا مفضة الى رجوعنا يوم القيامة اليه سبحانه فعبر بمقدمة الشيء عن الشيء نفسه كما يقال الفقر الموت ، والحمى الموت ونحو ذلك ويمكن ان يفسر على قول مثبت النفس الناطقة بتفسير آخر فيقال ان النفس مادامت في اسر تدابير البدن فهي بمعزل عن مبادئها ، لأنها مشغولة متفرقة بغير ذلك فأذا مات البدن ، رجعت النفس الى مبادئها فقوله :- ﴿وإنا إليه راجعون﴾ اقرار بما لا يصح الرجوع بهذا التفسير الا معه وهو الموت المعبر عن الهلك " (٣).

اذ استطاع ان يوظف هذا الشاهد خير توظيف من خلال مانجده من قول احد شراح النص :- " ومن آداب الصابرين على نزول المصائب ان يسلموا انفسهم واموالهم اليه فيقولوا عندها :- ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ كما قال سبحانه ﴿وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ والآية بتفسير الظاهر " (٤).

ونلاحظ المعنى يزداد دلالة عند النظر الى شرح المعتزلي ، كون قوله :- ﴿إنا لله﴾ اعترافا بأننا مملوكون لله وعبيد له لأن هذه اللام لام التملك ٠٠ الخ وفي كلامه موارد للنظروهي :-

١- الظاهر ان ضمير قوله يرجع الى علي (عليه السلام) فلا يستقيم ما ذكره بعد لان الجملة ليست قوله (عليه السلام) وان كان المقصود من قوله (عليه السلام) هو مخصوص – إنا لله – فلا يستقيم ايضا لأنه محكى عن قول جميع القائلين :

٢- ان معنى اللام الملك – وبينه وبين التملك فرق جلي

٣- المقصود من الرجوع الى الله ليس خصوص النشور والقيامة بل اعم منه واتم وهو الاستفاضة من حضرته من جميع مراحل الوجود وفي كل صورة وقوة كما يشعر به قوله (عليه السلام) :- اقرار على انفسنا بالهلك، ويستفاد من قوله تعالى :- ﴿كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون﴾ القصص ٨٨ ٠ (٥)

1- تفسير الكشاف ١/ ٣٢٣ – ٣٢٤.

2- الميزان في تفسير القرآن ١/ ٣٣٨ .

3- شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد حكمة ٩٥ / ٢٥٥

4- شرح نهج البلاغة – ابن ميثم البحراني حكمة ٩٥ ، ١٤٤

5- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة حكمة ٩٥ ، ٢٤٧

يقول احد شارحي النهج " اقول :- ومثله قال الرضي في (خصائصه) والاصل فيه ما روى محمد بن يعقوب في (الكافي) عن علي بن محمد عن صالح بن ابي حماد قال ، جاء امير المؤمنين علي (عليه السلام) الى الاشعث بن قيس يعزيه بأخ له يقال له عبد الرحمن ، فقال له :- ان جزعت فحق الرحم اتيت وان صبرت فحق الله ادبت انك على انك ان صبرت جرى عليك القضاء وانت محمود ، وان جزعت جرى عليك القضاء وانت مذموم فقال الاشعث :- انا لله وانا اليه راجعون ، فقال (عليه السلام) :- اتدري ما تأويلها ؟ قال :- لا انت غاية العلم ومنتهاه :- فقال (عليه السلام) له اما قولك ﴿ انا لله ﴾ فأقرار بالملك ، واما قولك ﴿ وانا اليه راجعون ﴾ فأقرار بالهلاك ورواه بن ابي شعث الحلبي في تحفه مرفوعا مثله قول المصنف " وسمع (عليه السلام) رجلا يقول :- ﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾ قد عرفت من خبر الكليني ان الرجل كان اشعث بن قيس في موت اخيه فقال (عليه السلام) :- ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالهلك فهو الاقرار بالمبدأ ، وقولنا ﴿ وانا اليه راجعون ﴾ اقرار على انفسنا بالهلك ، فهو الاقرار بالمعاد" (١).

٤- قال تعالى: ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ﴾ سورة النساء ١٧

ذكر الإمام (عليه السلام) هذه الآية للدلالة على الحكمة من التوبة ، قال عليه السلام :- " من أعطي اربعاً لم يحرم اربعاً من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول ، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة" . قال الرضي :- وتصديق ذلك كتاب الله تعالى قال الله عزوجل في الدعاء ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ غافر ٦٠ ، وقال في الاستغفار ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ النساء ١١٠ وقال في الشكر ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ إبراهيم ٧ وقال في التوبة ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ﴾ النساء ١٧" (٢)

ورد ايضا في تفسير هذه الآية :- " ﴿ إنما التوبة ﴾ أي :- قبول التي اوجبها الله على نفسه بمقتضى وعده ﴿ على الله للذين يعملون السوء ﴾ متلبسين بجهالة اذ ارتكاب الذنب جهل وسفه ، قال (صلى الله عليه وآله) :- (كل ذنب عمله العبد ، وان كان عالماً ، فهو جاهل حيث خاطر في معصية ربه) ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ وهو ما قبل حضور الموت لقوله :- ﴿ حتى اذا حضر احدهم الموت ﴾ وقوله (صلى الله عليه وآله) :- (من تاب قبل ان يغرغر تاب الله عليه) او المعنى قبل ان يصير ربنا على قلوبهم ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ﴾ بتوبتهم ﴿ حكيماً ﴾ بما يعاملهم به" (٣)

إن الجهل بأرتكاب الذنوب والمعاصي المستند الى طغيان الغرائز وسيطرة الاهواء الشخصية قد لا يبعد عن الانسان تهمة أرتكاب تلك الذنوب واقتراح المعاصي فالعبد قد يدرك المعصية ألا ان يرتكبها انكاراً منه لقضاء الله وحكمه بل أنه قد يتمرد على تعاليم الله سبحانه وتعالى ويعمل بعناد منه على أرتكاب تلك الذنوب ولكن الله سبحانه وتعالى برحمته منه اعطى للانسان منحة بأن جعل فقدان علمه بالامر موازياً للجهل به لذلك من يعمل سوء بجهالة دون علم ثم يقبل على التوبة يمنحه الله إياها اذا كانت من قلب سليم ، أما تحدي الذات الالهية وأقتراف المعاصي دون رادع أو خوف من عقاب وكأنما الانسان يأمن العقاب فهذا من باب عصيان الله سبحانه وتعالى حتى اذا ظهرت آثار الموت عليه طلب المغفرة من الله وكان الكون دون نظام أو قانون يحده وإن اقتربت ساعة موته وهي نهاية الامر دون عمل مسبق لأرادة الله وإطاعة أو امره يطلب المغفرة وهذا خلاف النظام الكوني فالطاعة لله وترك معاصيه وطلب التوبة الصحيحة جزاؤها المغفرة والرضوان أما عصيان الله وأوامره وأرتكاب المعاصي فجزاؤها جهنم خالداً فيها .

ولو اطلعنا على شرح النهج الذي ضم هذه الآية في كلام الإمام علي (عليه السلام) نلاحظ ان هذا المعنى ينطبق عندما يقول احد شراح النهج " إنما التوبة على الله أي قبول التوبة على الله تعالى لمن عمل سيئة جهلاً ثم تاب من قريب أي قبل الموت " (٤).

1- بهج الصبغة في شرح نهج البلاغة حكمة ٩٥ / ٢٩٣ - ٢٩٤

2- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٤ / ٥٣١ حكمة ١٣٦

3- تفسير القرآن الكريم لعبد الله شبر ٨٠

4- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة حكمة ١٣٠ ، ١

اذ استطاع الشارح توظيف دلالة هذا الشاهد خير توظيف من خلال قوله " ان اعداد النفس لقبول صورة الرحمة الالهية من واهبها تكون بعدة امور :- فالدعاء بأجابتها ، والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار للمغفرة ، والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك على وفق مقتضى العمل " (١).
و مماروي في (منهج الدعوات) حديث على بن طاووس عن خط بن الباقلاني النحوي المتكلم ، قال " حدثني السيد الاوحد العالم مؤيد الدين شرف القضاة عبد الملك انه كان مريضاً فجاءه امير المؤمنين (عليه السلام) - أي في المنام - وكأنه قد انزل من الهواء وقال له (الشفاء) وامرّ يده على ذراعه الايمن ثم قال له قل ثلاث مرات واعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعد وهو العزيز الحكيم ﴾ ومضمون الآية :- ﴿ إنما التوبة على الله للذين ﴾ ٠٠٠ التوبة هي الرجوع بالندامة والانصراف عن الاعراض للعبودية ٠ ورجوع من الله الى العبد رحمة بتوفيقه للرجوع الى ربه او بغفران ذنبه ، وقد مر مرارا ان توبة واحدة من العبد محفوفة بتوبتين من الله سبحانه على مايفيده القرآن (٢) .

٥- قال تعالى: ﴿ ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ سورة القصص ٥

وردت هذه الآية في حكمة للأمام علي(عليه السلام) مبينا في البدء تعاطف الدنيا بعد شدتها ، وتلا هذه الآية :- ﴿ ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ القصص ٥
قال (عليه السلام) :- " لتعطفن الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها ، وتلا عقيب ذلك ﴿ ونريد على الذين استضعفوا ... ﴾ الشماس بالكر :- أمتناع ظهر الفرس عن الركوب والضروس بفتح وضم الناقاة السيئة الخلق تعض حالبها أي ان الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها كما تتعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالب " (٣) فما اجمل ان تلحظ تلك الثنائية الرائعة بين الشبع والجوع والشح بالخير وكثيراً مابرزت تلك الثنائيات مع تقابلات وتضادات دلالية في كلام الامام(عليه السلام) كما اننا نجد " ان لغة المجاز قائمة على علاقات التجاور والامتداد الافقي في النص " (٤).

ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ ونريد ان نمّن ٠٠٠ ﴾ اراد فرعون بحوله وقوته ان ينجو من موسى فما نفعه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف امره القدر ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه الوفا من الولدان انما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك وغذاؤه من طعامك وانت تربيه وتدله وان حتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه وان الله هو القاهر الغالب العظيم " (٥).

تدل حكمة الإمام علي(عليه السلام) في استشهاده بهذا النص القرآني أن الدنيا لا تبقى عصية بيد الطغاة والفراعة ومهما تجبر الجبابة وأستحكموا قوتهم على الضعيف تبقى قوة الله سبحانه وتعالى الرادع والقارع لجذورهم بعد ان يمن على الضعيف بالنصر والفتح المبين وان الظروف مهما اشتدت والدنيا مهما أنقادت نحو الخشونة والقسوة تعطف وتلين لأرادة الله إذ ليس بالامكان ان تستمر الظروف السيئة على الدوام بل أن العالم بافراده ينشد التغيير العادل ويتمناه ونحن ندرك أن المخلص فكرة تطلبها كل الشعوب والله سبحانه وتعالى رحيم بعباده المؤمنين الضعفاء الذين تكالبت عليهم قوى الشر بما تحمل من هيمنة واحتكار لأرادة الشعوب مع طاقة مادية قد لا تصمد أمام قوة الله وأرادته.

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- " ﴿ ونريد ان نمّن على الذين ... ﴾ قال :- يوسف وولده ٠ اقول :- لعل المراد بنو اسرائيل ، والا فظهور الآية في خلافه غير خفي وفي معاني الاخبار بأسناده عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمرو قال :- سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول :- ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نظر

1- شرح نهج البلاغة - ابن ميثم البحراني - حكمة ١٣٠ ، ٣١٧

2- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة حكمة ١٣٠ ، ٣٠٧

3- شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده ٥٤٤/٤ حكمة ٢١٠

4- المستوى الجمالي في نهج البلاغة - موقع صوت العراق الالكتروني نقلا عن المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر ، رابطة الكتاب العراقيين مقالات في ٢٥ / ٥ / ٢٠١٠ الثلاثاء

5- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣ / ٣٨٠

الى علي والحسن والحسين (عليه السلام) فبكى وقال :- انتم المستضعفون بعدي قال المفضل :- فقلت له :- ما معنى ذلك قال :- معناه انكم الائمة بعدي ان الله عز وجل يقول :- ﴿ ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ﴾ فهذه الآية جارية فينا الى يوم القيامة اقول والروايات من طرق الشيعة في كون الآية في ائمة اهل البيت (عليهم السلام) كثير وبهذه الآية يظهر انها جميعا من قبيل الجري والانطباق " (١)

ومما ورد في تفسير هذه الآية :- "﴿ ونريد ان نمّن على الذين ٠٠٠ ﴾ أي ان تشملهم رعايتنا ومواهبنا ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما فهم ما كانوا يحذرون ٠ كم هما بليغتان هاتان الايتان وكم فيهما من رجاء وامل اذ جاءتا بصورة الفعل المضارع والاستمرار لئلا يتصور انهما مختصتان بالمستضعفين من بين اسرائيل وحكومة الفراعنة اذ تبدآن بالقول :- ﴿ ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الارض .. ﴾ أي ان فرعون اراد ان يجعل بني إسرائيل شذر ومذر ويكسر شوكتهم ويبيد قراهم وقدرتهم ، ولكننا اردنا - ونريد - ان ينتصروا ويكونوا اقوياء وكان فرعون يريد ان تكون الحكومة بيد المستكبرين الى الابد ولكننا اردنا ان تكون بيد المستضعفين فكان كما اردنا ﴿ ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ﴾ أي مستخلفين بعد الفراعنة والجبابة ٠ وهي بشارة في صدر انتصار الحق على الباطل والايمان على الكفر وهي بشارة لجميع الاحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل وانطواء بساط الظلم والجور " (٢).

ولو اطلعنا على شرح النص الذي ضم هذه الآية في كلام الإمام علي (عليه السلام) ، نلاحظ ان هذا المعنى يزاد عندما يقول احد شراح النص " كقول الزيدية :- انه لا بد من ان يملك الارض فاطمي يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد ، وان لم يكن احد منهم الان موجود " (٣) .
و " قال الشارح المعتزلي :- والامامية تزعم ان ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملك الارض آخر الزمان واصحابنا يقولون انه وعد بإمام يملك الارض " (٤).

وقال القمي :- " اخبر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بما لقي موسى واصحابه من فرعون واصحابه من القتل والظلم ليكون تعزية له فيما يصيبهم في اهل بيته من امته ثم بشره بعد تعزيته انه يتفضل عليهم بعد ذلك ، ويجعلهم خلفاء في الارض وائمة على امته يقول :- ﴿ منهم ما كانوا يحذرون ﴾ أي :- من آل محمد ولو كانت نزلت في موسى لقال :- منه ماكانوا يحذرون :- ﴿ منهم ﴾ قلت :- الامامية ان ما قالوا انه اشارة الى الامام المنتظر واما وجوده وغيبته فيثبتونه بأدلة عقلية واخرى نقلية ، وقد مر من النقلية قوله عليه السلام :- (لا تخلو الارض من قائم الله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا " وقوله (عليه السلام) اذا خوى نجم طلع نجم) وقال ابن ابي الحديد ايضا :- وقال بعض اصحابنا :- انه اشارة الى ملك السفاح والمنصور ٠ قلت :- لا بد ان كان ذاك البعض من النصاب ، وكيف يصبح قوله ولم يكن شماس الدنيا على اهل بيته في زمان العباسيين اقل من زمان الامويين ؟ هذا ومثل تلك الآية في البشارة لأهل البيت (عليهم السلام) قوله تعالى :- ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ﴾ " (٥).

لقد اعتمد نهج البلاغة على ثلاثة اقطاب مركزية هي الخطب والاوامر والكتب والرسائل والحكم والمواعظ وهو " في عظمتها الاسلوبية يحتوي على عبقرية الحس اللفظي تلك العبقرية التي تتمثل في علاقة اللفظة بالآخرى ، والتي ترد في خطب وفقرات ممتازة تتميز تأخذ بها اللفظة بعنق قرينتها جاذبة إياها الى نفسها دالة عليها بذاتها " (٦).

المصادر والمراجع

- 1- الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ١١
- 2- تفسير الامثل ١٢ / ١٥٥
- 3- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد ٢٩
- 4- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - حبيب الله الهاشمي حكمة ٢٠٠ / ١٠٣
- 5- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة حكمة ٢٠٠ / ٤٩٦ - ٤٩٧
- 6- شبكة الامام الرضا (عليه السلام) رؤية في اسلوب نهج البلاغة ، نقلاً عن كتاب علي ابن ابي طالب سلطة الحق تأليف عزيز السيد جاسم مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية / نهج البلاغة - رؤية تحقيقية العدد ١٠

- القرآن الكريم

- ١- الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون – تأملات في فنون القرن الاول الهجري ، د عباس علي حسين الفحام ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م ، لبنان بيروت
- ٢- انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البضاوي ، ابو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي ت (٦٨٥ هـ) ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م دار الكتب العلمية – بيروت لبنان
- ٣- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي التستري ، دار امير كبير للنشر ، طهران ، ط١ ١٣٧٦ ق
- ٤- تفسير الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، بيروت مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣ هـ
- ٥- تفسير القرآن العظيم ، للأمام الجليل الحافظ عماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٧ هـ ، دار الاندلس بيروت ، ط١ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م
- ٦- تفسير القرآن الكريم ، عبدالله شبر المتوفى سنة ١٢٤٢ للهجرة بيروت دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ق راجعة الدكتور حامد حنفي داود أستاذ كرسي الأدب في كلية الألسن في القاهرة .
- ٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ) الطبعة (٣) ١٣٨٨ - ١٩٦٨ .
- ٨- شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ابوحامد ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت (٦٥٦ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة ١٩٥٩ م
- ٩- شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ، مطبعة خدمات ، ط٢ ، طهران ١٤٠٤ ق
- ١٠- شرح نهج البلاغة الشيخ محمد عبده ، تحقيق فائق محمد خليل ، مؤسسة التأريخ العربي بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- ١١- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد ، محمود جواد مغنیه ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ١٩٧٢ م.
- ١٢- الكشف عن حقائق التنزيل (وعيون ألقاويل في وجوه التأويل) ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧- ٥٣٨ هـ ، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده في مصر ١٩٦٦ م
- ١٣- المستويات الجمالية في نهج البلاغة :- دراسة في شعرية النثر ، نوفل ابو رغيف ، دار الشؤون الثقافية سلسلة الفكر العراقي الجديد ٢٠٠٨ .
- ١٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، العلامة ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، طهران ، المكتبة الاسلامية ، ط٤ ١٤٠٥ ق
- ١٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تأليف :- قطب الدين الراوندي
- ١٦- الميزان في تفسير القرآن ، تأليف محمد حسن الطباطبائي (ت ١٤٠٢) طهران دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثالثة سنة التأليف ١٣٩٧ ق.

الصحف

- جريدة الاتحاد الالكترونية شعريات النثر وجماليات الاسلوب في نهج البلاغة ، د رسول محمد رسول ، العدد العاشر ، الخميس ، ٢٧ أغسطس ٢٠٠٩
- الانترنت والمواقع الالكترونية**
- ١- رابطة الكتاب العراقيين ، المستويات الجمالية في نهج البلاغة ، المقالات ، علي الإمارة ، الثلاثاء ٢٠١٠/٥/٢٥
 - ٢- شبكة الإمام الرضا (عليه السلام) المكتبة الاسلامية (نهج البلاغة) رؤية في اسلوب نهج البلاغة – 1998 Imam- Rezu(A-S)Hetwork 2010
 - ٣- شبكة نهج البلاغة ، مركز آل البيت العالمي للمعلومات ، مقالات ، رؤية في اسلوب نهج البلاغة ، خصوصية النص
 - ٤- مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية ، نهج البلاغة – رؤية تحقيقية العدد ١٠ د. إبراهيم الساعدي.

